(مايكون لى) أى ماتيصور منى بعد اذ بعثتنى لهداية الخلق (أن أقول) فى حق نفسى (ماليس لى بحق) أى ما استقر فى قلوب العقلاء عدم استحقاقى له مما يضلهم (ان كنت قلته فقد علمته) أى قبل أن أقول فكيف أرسلت للهداية من علمته مضلا لانك (تعلم ما فى نفسى) أى حقيقتى (ولا أعلم ما فى نفسك) حتى ما يتعلق بنفسى من علمك بخفاياها (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ما غاب عنى من صفات نفسى وضمائرها لكن لو كانت فىّ ما كنت مرسلى فدل ارسالك على أنى (ماقلت لهم الا ماأمرتنى به أن) أقول لهم (اعبدوا الله) لامتقيدا باعتبار ظهوره فى مظهرى بل باعتبار كونه (ربى وربكم و) لايتوجه علىّ ما أحدثوا بعدى لانى انما (كنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يتأتى لى نهيهم عما أشاهد فيهم مما لا ينبغى (فلما رفعتنى فصرت كأنك (توفيتنى كنت أنت الرقيب) أى الناظر (عليهم و) كذا قبل ذلك اذ (أنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم) بما شهدت فيهم من اتخاذهم اياى وأمى الهين (فانهم) وان خرجوا عن خالص عبوديتك بالشرك (عبادك) فلك ان تتصرف فيهم بما شئت ولو لم يفعلوا اذ لك أيضا ولا يمنعك من اتخذوه شريكا من ذلك (وان تغفر لهم) فليس من عجزك ولا من سفهك بل من عزتك أن لا تبالى بمعاصيهم ومن حكمتك أن لا تعاقب من توسل اليك بعبادة الغير أو عبدك بمظهرك (ف) فى كل حال (انك أنت العزيز الحكيم) فالعزة والحكمة كما يقتضيان العذاب باعتبار كذلك رفعه باعتبار آخر فلذلك لم يعتبر فى التعذيب بل انما اعتبرت العبودية (قال الله) الغفران وان لم يبطل عزتى ولا حكمتى لكن سبق وعدى بأنه (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فلو عاملت بالكاذبين مثله لم يظهر نفع صدقهم وذلك النفع أنه يكون (لهم جنات) من غرس صدقهم (تجرى من تحتها الانهار) كما جرى لهم من صدقهم أنهار المعارف والاعمال الصالحة ولا يختص لهم ذلك بيوم دون يوم بل يكونون (خالدين فيها أبدا) لانهم (رضى الله عنهم) لصدقهم (ورضوا عنه) بحقيقة الصدقهم فلم يسخطوا القضائه فى الدنيا وكيف يسقط التعذيب عن غيرهم وهو موجب لدخول تلك الجنات مع ان (ذلك الفوز العظيم) الذى لا يناله أهل التكذيب سيما اذا كانوا اساءة بالفساد بل مقتضى قواعد الملك الانتقام منهم والانعام على أهل الصدق (لله ملك السموات والارض ومافيهن و) لا يبعد منه ادامتهما على أهل الرضا الكلى والسخط الكلى اذ (هو على كل شئ قدير) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانعام)

سميت بها لان أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها وفى التقرب بها الى اصنامهم مذكورة فيها وقد اشتملت على أكثرها لاتمام ويتم ظهورها بها (بسم الله) الجامع للكمالات المستوجبة للمحامد من الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بايجاد السموات والارض

وسميت جزية لانها قضاء منهم لما عليهم ومنه قوله جل وعز لاتجزى نفس عن نفس شيأ أى لاتقضى ولاتغنى (قوله عز وجل جدار) أى حائط وجمعه جدر (قوله عز وجل جبلة الاولين) أى خلق الاولين (قوله تعالى جذوة) وجذوة وجذوة من النار قطعة غليظة من الحطب فيها نار لالهب لها (قوله عز وجل جفان)

obeikandl.com

والظلمات الحسية التي يتوقف عليها بعض المنافع والعقلية التي هي سبب عمارة العالم السفلي بحجبها عن الذات الالهية والصفات (الرحيم) بايجاد النور الكاشف عنهما وعن ايصال الممكنات اليهما (الحمد لله) أي جميع المحامد بما حمد به نفسه أو خلقه أو حمد به الخلق ربهم أو بعضهم مخصوص به لانه (الذي خلق) أي قدر بمقدار تقتضيه الحكمة بحيث يستوجب الحمد (السموات) التي هي بأوضاعها وحركاتها أسباب الكائنات والفاسدات التي هي مظاهر الكمالات الالهية وجمعها ليشعر بغاية كثرتها بحيث يكون لامر واحد أسباب كثيرة فلا ينقطع بانقطاع سبب معين (والارض) المشتملة على قوابل الكون والفساد التي هي المسببات ووحدها ليشير الى أن في قوابلها ما يقبل مع وحدته الصور الكثيرة من اختلاف الاسباب (وجعل) أي أوجد من غير تقدير اذ لا مقدار لهما في ذاتهما (الظلمات) الحسية وهي ظلال الاجسام الكثيفة الساترة عن المحسوسات والمعنوية الوهمية أو الخيالية الحاجبة عن المعقولات ليتوقف بعض المنافع على ذلك وفيها استئثار الحق بالصفات الجلالية بل تجليه بها وجمعها ليشعر بكثرتها، كيف ومنها الشبهات الحاجبة عن ادراك الصواب وبرفعها يظهر فضل مدركه وجعلها بازاء السموات ليشعر بأن بعض أسبابها مما يحجب عن المسبب (والنور) وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ووحده مع كثرة أنواعه لان المراد ما يوجب ظهوره في المظاهر أو يوصل الى توحيده وأخرهما عن ذكر السموات والارض لانهما سببا الادراك وامتناعه وهما فرع المدرك والمدرك (ثم) صار انعامه بذلك سبب العدول عنه الى غيره أو التسوية بينه وبين غيره لاستعظامهم بعض ما أنعم به أو احتجابهم به عن المنعم اذ (الذين كفروا) أي علم كفرهم وان أنكروه وثبت في الازل فستروا المنعم مع غاية ظهوره أو عبدوا مظاهره على اعتقاد كمال ظهوره فيها وهو اعتقاد النقص بالنظر الى ما هو كماله فهو ستر بالحقيقة (بربهم) الذي رباهم بهذه النعم ليلازموا بابه وعبادته ولا ينظروا الى غيره (يعدلون) يميلون عنه الى عبادة بعض ما أنعم أو يسوون بينه وبين بعض ما أنعم في اعتقاد الالهية أو استحقاق العبادة ويتجدد ذلك منهم حتى في حال تعظيمهم للحق لانهم لا يعظمونه بحيث لا يشاركه الغير ولا يتوجهون اليه بحيث يخلون عن كل ما سواه ثم أشار الى انه وان توهم نسبة سائر النعم الى غير الله فلا يتوهم نسبة نعمة خلق الانسان الذي هو المظهر الجامع الى غيره لقصوره مع امتناع كون القاصر موجد الكامل فقال (هو الذي) علم بحيث لا يعارضه وهم لمضيه في العقول انه (خلقكم) خاطبهم ليشير الى اعزازهم بخطابه الازلي مع كونهم (من طين) في غاية الهوان ولا شعور له فهو غاية الانعام الموجب غاية ذم من مال عنه أو سوى بينه وبين غيره والطين هو التراب الممزوج بالماء فهم مخلوقون من الارض مع أثر سماوي (ثم) أي بعد ما تم خلقكم (قضى) أي قدر وكتب في جباهكم (أجلا) هو أجل الموت وهو أيضا أثر سماوي لكونه من الزمان الذي هو مقدار أسرع الحركات السماوية ونكره لابهامه وانما قدره

أي قطع كبار واحدها جفنة وقصعة (جمالات صفر) أي ابل سود أي جمع جمالة وواحد الجمالة جمل وجمالات بضم الجيم قلوس سفن البحر (قوله تعالى جيدها) أي عنقها (قوله عز وجل جنة) أي جن كقوله تعالى من الجنة والناس وجنة جنون كقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة

(باب الحاء المفتوحة)

لينتقل من دار القصور الى الكمال ليكون أجمع وليدل على أجل القيامة المشار اليه بقوله (وأجل مسمى) أى معين فى حق الكل (عنده) لا يعلمه غيره لانه ان قرب تعطلت الامور وان بعد لم يلتفت اليه ولم يذكر ههنا قضى لانه لم يكتب فى الجباه لعدم اختصاصه بأربابها وجعله جملة اسمية للدلالة على ثبوته فى العقول اذ بدونه يلزم العبث فى خلقها وتفهيم الخطاب الازلى وفى الاجلين اقوال انتهاء حياة وابتداء حياة أو ابتداء موت وانتهاء موت أو ابتداء موت وابتداء حياة أو انتهاء حياة وانتهاء موت وهذا أظهر (ثم) أى بعد انعامه عليكم بخلقكم واعزازكم بخطابه مع غاية هوان أصلكم وبعد العلم بانتقالكم الى داره والى حكمه (أنتم تمترون) أى ثابتون على الشك أو المجادلة فى الحق بتجديد الافعال وكيف تمترون فيه (وهو الله) أى الظاهر بذاته وصفاته (فى السموات وفى الارض) ليراها بمراياها مفصلا ثم ظهر فيكم مجملا ليشاهدها كما كان يشاهدها فى نفسه فكل ما فيكم ظهوراته التى يشاهدها فهو (يعلم سركم) مظهر باطنه (وجهركم) مظهر ظاهره (و) كما يعلم ما فيكم باعتبار الظاهرية (يعلم ما تكسبون) باعتبار حقائقكم التى يختلف بها الظهور الواحد وهى جهة الجزاء اذ هى جهة الاعراض عن آيات الله (و) لذلك (ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) فلا يستدلون بها عليه والاعراض عن دلالاتها تكذيب للحق الناطق بالدعوة اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فزعموا ان الآيات كمالات الحق ظهرت بتلك المظاهر ليعبد فيها وهذا استهزاء به اذ قالوا بظهور الالهية فيها فكأنهم جعلوها من الحوادث فهذا الاعراض والتكذيب والاستهزاء لها انباء مرجعها انباء الاستهزاء فان لم تظهر فى دار الابتلاء فلا بد من ظهورها فى دار الجزاء (فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) وقد جاء المستهزئين قبلهم انباؤهم (ألم يروا) أى ألم يعلموا علما يشبه الرؤية بالبصر لما سمعوا بالتواتر من اتيان المستهزئين الاولين انباؤهم مرارا كثيرة (كم أهلكنا) أى كثيرة من أهلكنا بحيث أفاد تجربة واستقرار عادة (من قبلهم من) أهل (قرن) أى زمان فكأنهم لم يبالوا بذلك امار أو امن تمكين الله فتوهموا انه مناف للاهلاك ومن توسيع الرزق عليهم فتوهموا انه مناف للتضييق بالانتقام منهم على انهم يتوهمون ان اهلاك من تقدم انما كان لدائرة فلكية لا للذنب صدر منهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (مكناهم) لم يقل لهم للقطع بعدم انتفاعهم بخلاف المخاطبين اذ يتوقع لهم النفع قبل اهلاكهم (فى الارض) فيه اشارة الى أن التمكين فى السماويات هو الذى يمكن جعله منافيا للاهلاك (مالم نمكن لكم) فلا يمنع تمكينهم من اهلاكهم (وأرسلنا) هو أبلغ من أنزلنا فى الدلالة على الكثرة (السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى مغزارا (وجعلنا) فى وقت أو مكان لا مطر فيه (الانهار تجرى من تحتهم) فهذه التوسعة لا تنافى تضييقهم للعذاب بل صارت ذنوبهم بعد ذلك سبب الاهلاك الكلى (فأهلكناهم) وقد ترتب على ذنوبهم وكان (بذنوبهم) اذ ترتب الشئ على سببه هو الاصل (و) انما أهلكناهم فى الدنيا على ذنوبهم مع

(حنيف) من كان على دين ابراهيم عليه السلام ثم يسمى من كان يختتن ويحج البيت فى الجاهلية حنيفا والحنيف اليوم المسلم ويقال انما سمى ابراهيم حنيفا لانه كان حنف عما يعبد أبوه وقومه من الآلهة الى عبادة الله عز وجل أى عدل عن ذلك ومال وأصل الحنف ميل فى ابهامى القدمين من كل واحدة على صاحبتها (قوله عز وجل حج البيت) أى قصد البيت ويقال حججت الموضع

انهاليست دار الجزاء ليكون عبرة لمن بعدهم اذ (أنشأنا من بعدهم قرنا) خلقنا فيه اناسا (آخرين) فلا تنامح فيه يمنع من المبالاة بالاهلاك للعود عن قرب (و) لكن أساء هؤلاء المنشؤن من بعدهم الاعتبار بحيث (لو نزلنا) من مقام عظمتنا على سبيل التنجيم الذى هو أتم فى الاعجاز (عليك) أيها الخبير فى نفسه الداعى الى الخيرات فى العموم (كتابا) عظيم الشأن فى الالفاظ والمعانى (فى قرطاس) رأوا نزوله من السماء (فلمسوه بأيديهم) التى هى أعدل الاعضاء اللامسة مع انه لا دخل للسحر فى هذه القوة (لقال الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم بانكار امكان الارسال والمعجزات (ان) أى ليس (هذا) المعظم بهذه الوجوه الدالة على انه لا يكون الا من الله (الا سحر مبين) انفسه لا يحتاج الى بيان (وقالوا) لما كانت المعجزة من المحالات الصريحة فلا دليل على النبوة سوى شهادة الملك (لولا أنزل عليه ملك) يشهد بصدقه (ولو أنزلنا ملكا) فلو أنزلناه بصورته الملكوتية (لقضى الامر) أى انقطع أمر التكليف اذ لا ينفع الايمان بعد انكشاف عالم الملكوت (ثم) ان لم يقض (لا ينظرون) اى لا يمهلون اذ الامهال للنظر فان المعجزة وان أفادت علما ضروريا لا تخلو عن خفاء يحتاج الى أدنى نظر ولا خفاء مع انكشاف عالم الملكوت فلا وجه للامهال للنظر ولم يقبل الايمان معه فلا بد من المؤاخذة عقيبه (ولو جعلناه ملكا) بحيث يراه أهل عالم الشهادة (لجعلناه رجلا) أى على صورته ليدركه أهل عالم الشهادة (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم) من استحالة ارساله شاهدا مثل (ما يلبسون) على أنفسهم ومقلديهم من استحالة ارسال البشر ولم يمكن شئ من الامرين فلا وجه لانزاله أيضا لانهم لما رأوا المعجزات من المحالات وانزال الملك غايته انه من المعجزات كان طلبهم ذلك استهزاء فهم يستحقون بذلك الاستهزاء من الله (و) قد فعل الله ذلك بمن قبلهم لانه (لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط من الجوانب (بالذين سخروا منهم) لا بالرسل (ما) أى الاستهزاء الذى (كانوا به يستهزؤن) اذا هلكوا فى الدنيا على أقبح الوجوه ثم ردوا الى أفظع العذاب أبد الآبدين وجعل لرسل فى أعلى منازل القرب من رب العالمين فان أنكروا انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قل) ان لم تصدقوه بما تواتر ولم تكتفوا بما رأيتم فى مكان لعدم دلالته على استمرار هذه السنة ولو أبصرتم الكل فى مكانكم لنسبتموه الى السحر فالآن (سيروا) سيرا ممتدا (فى) اطراف (الارض ثم) بعد تحملكم مشاق السير المذهبة رعونة النفس (انظروا) فى آثارهم الدالة على انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن لتعلموا (كيف كان عاقبة المكذبين) الذين تضمن تكذيبهم الاستهزاء وكان عاقبتهم استهزاء الله بهم فان زعموا انه لا دلالة فيها على انها كانت لتكذيبهم اذ ليست بمعصية يعاقب بها صاحبها بمثل تلك العقوبة (قل) أى معصية أعظم من التكذيب والقول بانكار الرسالة والمعجزة وفيه تعجيز لله عن اقامة الدليل على صدق من أرسلهم وانكار رحمته وعدله وحكمته فان أنكروا قدرته على المعجزة سلهم (لمن ما فى السموات والارض) فان قالوا هو لله لكن المعجزة ليست من فعله حتى تدل

أحجه حجا اذا قصدته ثم سمى السفر الى البيت حجا دون ما سواه والحج والحج لغتان ويقال الحج المصدر والحج الاسم وقوله عز وجل يوم الحج الاكبر أى يوم النحر ويقال يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الاصغر (قوله تعالى حصورا) على ثلاثة أوجه الذى لا يأتى النساء والذى لا يولد له والذى لا يخرج مع الندماء شيأ (قوله عز وجل الحواريون) هم صفوة الانبياء عليهم السلام الذين خلصوا

على تصديقه (قل لله) هى أيضا لانها اما عين فعله أو فعل من أعطاه القدرة عليها لكنه لا يعطى أحدا قدرة تفضى الى عجزه عن شئ سيما تصديق الرسل الذين تقتضى الحكمة ارسالهم لانه من الرحمة وقد (كتب) ربكم (على نفسه الرحمة) وكما لها فى الجزاء اذ بدونه تضيع مشاق المعارف الالهية والاعمال الصالحة وتضيع المظالم ولا جزاء فى دار الدنيا لانه فرع التكليف ودار التكليف لا تكون دار الجزاء لان مشاهدته مانعة من التكليف فلذلك حلف (ليجمعنكم) فى القبور (الى يوم القيامة) واذا حلف فهو (لا ريب فيه) ولا يعرف الا بارسال الرسول فلا يكون تكذيبه الا سبب خسران ما وعد على معارفه وأعماله الصالحة على ألسنتهم (الذين خسروا أنفسهم) فقوتوا عليها ما وعده الله وألزموها قهره وغضبه اللذين ظهرت آثار ذلك على بعضهم فى الدنيا (فهم لا يؤمنون) وكيف يرتاب فى يوم الجزاء والدنيا ان صلحت له فانما تصلح جزاء لمن يتلذذ بغير الله (و) أما من كان تلذذه بالله لا لنفسه بل (له) وهو (ما سكن) اليه (فى الليل والنهار) أى حال السكر والصحو فلا بد له من جزاء غير لذات الدنيا ولا يكفى تلذذه بالله فى الدنيا لانه ممزوج بألم شوقه (وهو السميع) لا نينه (العليم) بحنينه فلا يتمحض تلذذه الا برؤيته وكلمته ولا يتم الا يوم القيامة ولا يعد اعطاؤه الجزاء على الاعمال الغير المنحصرة لغير المنحصرين لانحصار الكل له لانه من جملة ما سكن أى دخل فى الليل والنهار الحاصرين وهو السميع لنيات العاملين العليم بأعمالهم ومقاديرها ولا يعد احياؤه للجمادات من ابدان الاموات لانها وان كانت دون الحيوان والنبات الساكنين بالليل المتحركين بالنهار لكن الكل من مظاهره حتى ان له ما سكن فى الليل والنهار من الجمادات فكما قبل ظهوره فله قبول ظهور حياته وظهور سمعه لسماع خطابه وظهور عمله لادراك اعماله وجزائها فلا ينبغى ان يرتاب فى يوم الجزاء الهذين الامرين ثم انه كما لا يكفى نعم الدنيا لجزاء من سكن الى الله فلا يلتذ بغيره لا يكفى آفاتها لجزاء من أشرك به وان كان مرغوبا للجمهور حتى لاموا بتركه الانبياء لما فيه من ترك متابعة الآباء (قل) بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح (أغير الله) الذى له الكمالات بالذات (أتخذ وليا) مع انه لا كمال له فى ذاته أغير (فاطر) أى مخترع (السموات والارض) من غير مثال سابق فكما لا تتخذ منه وقد اشتمل على آيات ومنافع كثيرة أنعم بها على الخلائق على ان الولى انما يتخذ لانعامه أو الحاجة اليه (وهو) كاف فيهما لانه (يطعم) ويحصل مقدماته وما يترتب عليه (و) لا حاجة له ولا انعام عليه ولا يطلب العوض لانه (لا يطعم) فيجب اتخاذه وليا بل معبودا شكرا على انعامه وكفايته الحوائج بلا عوض وكيف لا يعاقب على ذلك وفيه مخالفة أمره (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لاصير متبوعا للباقين فهم مأمورون بالاسلام ومخالفته نهيه اذ قد نهيت عن الشرك صريحا بعد النهى فى ضمن الامر وأكد ذلك تأكيدا فقيل (ولا تكونن من المشركين) ونهى المتبوع نهى التابعين والامر والنهى من الحكيم القدير سيما للمتبوع لا يكون للعبث فأقل ما فيه الخوف حتى للمتبوع (قل انى أخاف ان

وأخلصوا فى التصديق بهم ونصرتهم وقيل انهم كانوا قصارين فسموا الحواريين لتبييضهم الثياب ثم صار هذا الاسم مستعملا فيمن أشبههم من المصدقين وقيل كانوا ملوكا صيادين وقيل كانوا ملوكا والله أعلم (قال أبو عمرو فيه ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة والكسر أجود هن) (قوله تعالى حبل) عهد (حسرة) ندامة واغتمام على ما فات ولا يمكن ارتجاعه (قوله تعالى حسبنا الله) كافينا الله

عصيت) بمخالفة أمر أو نهى ولو فيما دون الشرك (ربى) الذى ربانى فبلغنى رتبة المتبوعية
فان عصيانه أخوف (عذاب يوم عظيم) تظهر فيه عظمة القهر الالهى وان كفى فيما دون الشرك
الآفات الدنيوية لكنه لا اختصاص به بالتعذيب يخاف عذابه لانه موضوع له بل صار
لعمومه بحيث (من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) بعظم عنايته كيف (وذلك
الفوز المبين) الذى يفوق الفوز بدخول الجنة اذ فوتها أهون من مقاساته فاذا عظم فوز
النجاة يومئذ من عذاب ما دون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه عمل ولا شفاعة
بل الآفات الدنيوية لا ترتفع بمعالجة ولا قوة ولى الا باذن الله (و) ذلك لانه (ان يمسسك الله
بضر) ولو دنيويا (فلا كاشف له) من دواء ولا موالاة ذى قوة بل لا يكشفه اذا كشفه
عقيب الدواء والرقى والبخورات (الا هو) اذ ليس لغيره قدرة بمعارضه ولذلك كثيرا ما لا
ينفعان ويفعل عقيب دعوانه أكثر مما يفعل عقيبها (وان يمسسك بخير فهو على كل شئ
قدير) فيقدر على اتمامه وان أراد الغير قطعه وأكثر ما يتمه بالشكر فان أبى فلتعويضه
بأجل منه وأكثر ما يقطعه بالكفر فان أتم فلا استدراج (و) لو فرض لغيره قدرة مستقلة
فليس له معارضة الله تعالى اذ (هو القاهر فوق عباده) فان شاء أمضى تأثيرهم وان شاء
قطع (و) ليس على سبيل التحكم بل (هو الحكيم) فلا يمضى الا حيث لا يضر بالآخرة الا فى
حق المستدرج (الخبير) بمن يحتاج الى الواسطة ومن لا يحتاج اليها فمن استغنى بالله أغناه
ومن توسل بوسايط الخير انتفع بها والا أضر بآخرته وكأنهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف
هذا العذاب الا عن قولك ولا نثبت الا باشهاد عظيم (قل أى شئ أكبر شهادة) بحيث
لا يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره (قل الله) أكبر شهادة اذ لا احتمال
للكذب فى قوله أصلا وهو (شهيد) أى مبالغ فى الشهادة على نبوتى بحيث يقطع النزاع
(بينى وبينكم) اذ شهد بالقول فى الكتب التى أنزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على
يدى من المعجزات (و) أعطانى المعجزة القولية التى لا مجال لتوهم السحر فيها اذ (أوحى الى
هذا القرآن) الجامع للعلوم التى يحتاج اليها فى المعارف والشرائع فى ألفاظ يسيرة فى أقصى
مراتب الحسن والبلاغة (لأنذركم به) يا من بلغوا الغاية القصوى فى باب البلاغة (ومن
بلغ) من عقلاء العالمين وفضلائهم اذ يعرفون اعجازه فيقع فى قلوبهم صدقه ولما أقام
الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم وأشار الى انه لا شاهد له من الدلائل
العقلية والنقلية والكشفية للرسل والاولياء وانما هو أقوالهم فقال (أئنكم) من
غير أصل (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل) انه وان كثرت الشهداء منكم عليه
حتى تواتر (لا أشهد) لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة ولا مشاهدة هنا
ولا دليل بل أشهد على توحيده (قل انما هو اله واحد) لا يشارك فى الهيته ولا فى صفات
كماله (واننى برئ مما تشركون) من عبادتكم لها واعتقادكم استحقاقها لها وكأنهم
اعترضوا على شهادة الله فى كتب الاولين بانكار جمهور أهل الكتاب اياه فأجيبوا بأنه انكار

(قوله تعالى حبطت
أعمالهم) أى بطلت (حظ)
نصيب (حريق) نار تلهب
(قوله عز وجل حلائل)
جمع حليلة الرجل أى
امرأته وانما قيل لامرأة
الرجل حليلته وللرجل
حليلها لانه يحل معها
وتحل معه ويقال حليلة
بمعنى محلة لانها تحل له ويحل
لها (قال أبو عمرو ومنه قول
عنترة وحليل غانية تركت
مجدلا) (قوله عز وجل حسيبا)
فيه أربعة أقوال كافيا
وعالما ومقتدرا ومحاسبا
(قوله عز وجل حاق بهم) أى

لما عرفوه كما اعترف به من آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا يبعد منهم لذلك ستر مالم يظهر فى العموم ولا تحريفه فقيل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لانه ذكر فيه نعته وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان تعين بقرائن المعجزات فبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه فى الولد بأنه يمكن ان يكون غيرما ولدته امرأته أو يكون من الفجور مع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والفجور فهو (كما يعرفون أبناءهم) فى ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن على براءتها فانكاره خسران لما عرفوه ولما أمروا بالتدين به (الذين خسروا أنفسهم) بتفويت ماأوتوا من الكتاب وما أمروا به (فهم لا يؤمنون) وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم يحرفون كتاب الله لفظا أو معنى فيفترون على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وقد يسترون بعض مافى كتابهم وهو أيضا تكذيب فعلوا جميع ذلك لانه لا يتأتى لهم ترك الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم بدون أحد هذه الامور (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) لانهم بالتحريف يدعون الهية أنفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل وينسبون ايجادها الى غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلنا كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم وفيه اشارة الى أن مدعى الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا فلا يكون سببا لصلاح العالم ولا محلا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة الله بنسبة ظلم الافتراء على الله وتكذيب آياته اليهم أشار الى جواب اعتراض الله على شهادة المشركين ان مع الله آلهة أخرى بالكذب على أنفسهم بانكار شهادتهم وهو أيضا ظلم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم الاولون فى الشرك أيضا فقال (ويوم نحشرهم) أى فكما لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم لا يفلحون يوم نحشرهم أى الانس والجن والشياطين والملائكة (جميعا) ليفتضح جميعا من لا يفلح من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون بكمال العزة (ثم نقول للذين أشركوا) أى مضوا على الشرك بأن ماتوا عليه وهم الشاهدون أن مع الله آلهة أخرى وكذا المفترون على الله بالتحريف والمكذبون بآياته بجعلها للغير (أين شركاؤكم) الذين جعلتموهم شركاءنا وهم شركاؤكم فى العبودية (الذين كنتم تزعمون) من عند أنفسكم بلا دليل عقلى ولا نقلى ولا كشفى قصدتم بذلك فعل الافتتنين فى المملكة بجعلها للغير من هى له فيحيرون (ثم لم تكن فتنتهم) أى جواب ما اعترض به على فتنتهم التى هى شهادتهم أن مع الله آلهة أخرى (الا أن قالوا) معتذرين عنها بنفيها مؤكدا بالقسم بالاسم الجامع مع نسبة الربوبية اليه لا لى ماسواه (والله ربنا ما كنا مشركين) فكان هذا العذر ذنبا آخر مؤكد الافترائهم بالشرك الذى نفوه (انظر كيف كذبوا) مع علام الغيوب بعد كشف

أحاط بهم (قال أبو عمر حاق بهم) أى حق عليهم (قوله عز وجل حميم) أى ماء حار والحميم القريب فى النسبة كقوله عز وجل ولا يسئل حميم حميما أى قريب قريبا والحميم أيضا الخاص يقال دعينا فى الخاصة لا فى العامة والحميم أيضا العرق (قال أبو عمر الحميم أيضا الماء البارد وخاصة الابل الجياد يقال له الحميم يقال جاء المصدق فأخذ حميمها أى خيارها وجاء آخر فأخذ شاشها أى شرارها وأنشد
وساغ لى الشراب وكنت قبلا

obeikandl.com

الغطاء عنهم بحضرة من لا ينحصر من الشهود فنادوا به ضرارا (على أنفسهم و) لم يجدوا عنه تفصيا لانه (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شركاء يشفعون لهم عند الله ويقربونهم اليه زلفى وهذا من عدم فلاحهم بافتضاحهم بافترائهم بالشرك الذى اعتذروا عنه بكذب آخر موكد له (و) منشأ ذلك عدم فلاحهم فى الدنيا بتدبر ما يسمعون منك من كلام الله المرشد لهم اذ (منهم من يستمع) أى يقصد سماع القرآن ناظرا (اليك) أى الى وجهك الذى يعرف من له أدنى بصيرة انه ليس بوجه كذاب (و) لكن لا يتدبر فيه حتى يطلع على اعجازه ويؤثر فيه الارشاد لانا (جعلنا على) بواطن (قلوبهم أكنة) أى حجبا من التعصب لدين الآباء أو حب الرياسة والمال تمنعهم من (أن يفقهوه) أى يفهموا ببواطن قلوبهم بواطنه التى بها اعجازه وارشاده باقامة الدلائل ورفع الشبه بل التأثير فرع الوصول وطريق وصول المسموعات الآذان (و) قد جعلنا (فى آذانهم) التى هى طريق الوصول الى بواطن القلوب (وقرا) أى ثقلا مانعا من الوصول اليها لمعارضة مطالبهم المذكورة له (و) لا يختص هذا منهم بالقرآن لرؤيتهم قصورا فيه بل (ان يروا) بالاعين (كل آية) بحيث لا يخرج عنها شئ مما يمكن ظهوره على يدى البشر مما يدل على صدق الرسول كانه مشاهد (لا يؤمنوا بها) وحملوها على السحر وقد بالغوا فى انكار المعجزة القولية التى لا يتوهم فيها السحر (حتى اذا جاؤك) يا من سرى نوره الى بواطن من يأتيك فلا يسرى منك نور اليهم لانهم (يجادلونك) فيبطلون استعدادهم لقبول لنور منك ولما لم يمكنهم القول بأنه سحر (يقول الذين كفروا) أى ستروا اعجازه من كل وجه حتى من وجه اشتماله على أخبار الغيب (ان هذا الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (وهم) لرؤيتهم حلاوة نظمه فوق نثرهم وشعرهم مع متانة معانيه يعرفون ان التدبر فيه يفيد التطلع على اعجازه فيخافون تأثيره فى قلوب الخلائق لذلك (ينهون عنه) أى عن قراءته واستماعه لئلا يدعوهم الى التدبر فيه فيفسد عليهم أغراضهم الفاسدة (و) يخافون على أنفسهم ذهاب تلك الاغراض بقوة تأثيره لذلك (ينأون) أى يبعدون (عنه) يريدون اهلاكه (و) لكن لا يحصل لهم هذا المطلوب لان الله متم نوره ومظهر دينه ينعكس عليهم مرادهم فهم (ان) أى ما (يهلكون الا أنفسهم) بابطال نظريتهم وعمليتهم فى الدنيا واستحقاق العذاب الشديد الخالد فى الآخرة بل هم هالكون الآن لتحقق أسبابه فيهم (و) لكنهم (ما يشعرون) لاحتجابهم بعلائق بدنهم ولو شعروا لكانوا كالواقفين على النار (ولو ترى) أيها الناظر من بعد ما ابتلوا به (اذ وقفوا على النار) قبل دخولها العظم عليك الامر فكيف حالهم بعد دخولها (فقالوا يا ليتنا) طالبا لتمنى المحال (نرد) من دار الآخرة مع ما فيها من سعة الرحمة لتضييعهم استعداد تحصيلها الى الدنيا لحصل استعدادها بتكميل النظرية والعملية (و) مع ذلك (لا نكذب بآيات ربنا) لئلا يبطل ما حصل من الاستعداد (و) مع ذلك (نكون من المؤمنين) بكل ما يجب

الايمان

أكاد أغص بالماء الحميم أى البارد) (قوله عز وجل حرث) هو اصلاح الارض والقاء البذر فيها يسمى الزرع الحرث أيضا (قوله عز وجل حشرنا) جمعنا والحشر الجمع بكثرة (قوله عز وجل حيران) أى حائر ويقال حار يحار وتحير تحيرا أيضا اذا لم يكن له مخرج من أمره فمضى وعاد الى حاله (قوله عز وجل حمولة وفرشا) الحمولة الابل التى تطيق أن تحمل والفرش الصغار التى لا تطيق الحمل

الايمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وان لم يظهر لنا أكل واحد منها آية تظهر على يديه لئلا نصير مكذبين للآيات الظاهرة على يدى من أمر بالايمان بهم وانما ينفعهم الرد الذى يتمنونه لو كان تعذيبهم من خارج وليس كذلك (بل بدا لهم) بالصور القبيحة (ما كانوا يخفون من قبل) من الصفات الذميمة فيتعذبون بتلك الصور أيضا عند الرد عذابا لا يظهر عليهم معه خفة بما أسقط عنهم بالرد من العذاب الخارجى (ولو ردوا) مع اخفاء تلك الصفات فيهم ولا بد منها اذ لا تكليف بدونها (لعادوا) فاعلين (لما نهوا عنه) لغلبة تلك الصفات على عقولهم المانعة عنه (و) لا يمنعهم عن العود وعدهم (انهم لكاذبون) لان تلك الصفات تدعوهم الى الخلف فى الوعد ولا مانع منه (و) كيف لا يعودون وهم يرون ما رأوه من البعث والوقوف على النار من أضغاث أحلام النائم وقعت فى أثناء الحياة الواحدة لذلك (قالوا ان هى) أى ليست الحياة التى يتوهم فيها البعث والتى يتوهم فيها الرد (الا حيوتنا الدنيا) الاولة (و) ان متنا ورددنا بطريق التناسخ (ما نحن بمبعوثين) حتى يكون ذلك الوقوف على النار أمرا حقيقيا وانما روؤى حال تجرد الروح بطريق الرؤيا ثم تعلق بطريق التناسخ (ولو ترى) الذين لو ردوا بعد ما وقفوا على النار اقالوا انه رؤيا باطلة (اذ وقفوا على ربهم) فاطلعوا بالاطلاع عليه أنها نار حقيقية بعد البعث الحقيقى (قال) لهم تبكيتا لهم ورد المايتوهمون عند الرد (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا) الكاشف لنا عن حقيقته (قال) لو رددتم عن هذا المقام احتجبتم فكفرتم لما جرب منكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ولم يرفع عنهم لقاء الله العذاب وان اختص بأهل الحجاب لانه (قد خسر) النور الذى يمكن به رؤية الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فحصلت لهم ظلمة التكذيب ولم يزالوا فى ظلمته (حتى اذا جاءتهم الساعة) الكاشفة عن نور الله (بغتة) قبل ان يألفوا نوره ليمكنهم رؤيته (قالوا) عند عماهم بفجاءة النور بعد طول مدة الظلمة (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى فى الدنيا اذ لم نكتسب من الاعتقادات والاخلاق والاعمال ما ينير الارواح ويؤنسها بنور الحق ولو أطاقوا النظر لمنعهم حجب المعاصى ولو لم تحجب فانما يراه من يكون قائما (وهم) يكونون راكعين اذ (يحملون أوزارهم) أى أثقال معاصيهم (على ظهورهم) بل ينكسون لها (ألا ساء ما يزرون و) كيف لا يسوء الاوزار وقد ساء جميع ما يعمل لحياة الدنيا مما ليس بوزر ولا عبادة فانه (ما الحيوة الدنيا) أى اعمالها (الا لعب) أى اشتغال بالامور الحسية (ولهو) أى هزل (وللدار الآخرة) أى أعمالها (خير) أى أتم لذة فى الدنيا (للذين يتقون) وان شقت على المشتغلين بلعب الدنيا ولهوها واللذات الاخروية المناسبة للذات الدنيا خير لهم أيضا فضلا عن الروحانية (أ) تؤثرون الادنى الفانى على الاعلى الباقى الحاصل فى الحال لاهل الكمال (فلا تعقلون) وانما يؤثرون الدنيا لانهم لا يتلذذون لذة المتقين لانهم لا يستعملون العقول استعمالهم اياها فى أمور الدنيا حتى لا يصدقون الرسول

وقال بعض العلماء الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل ما يحمل عليه والفرش الغنم كذا قال المفسرون (قوله تعالى الحوايا) أى المباعر ويقال الحوايا ما تحوى من البطن أى ما استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهى متحوية اى مستديرة واحدتها حاوية وحوية وحاوياء (قوله عز وجل حنيفا) أى مستقيما (حقيق على) أى حق على واجب على ومن قرأ حقيق

الذى لايعرف وقوعها بدونه وان حسنها العقل ودل على صدق الرسول والعدم استعمالهم اياه فى حقه عليه السلام الموجب لتحقق الآخر مع وجوده عندهم كان يحزنه عليه السلام ذلك فقال عز وجل (قد نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) فيك من أنك كاذب أو ساحر أو شاعر أو مجنون وكان ينبغى ان لا يحزنك تكذيبهم (فانهم لا يكذبونك) فيما تخبر عن أمور الدنيا العلمهم بصدقك مع انك لم تعط المعجزات الا لصدقك فيها (ولكن الظالمين) بتكذيبك فيما أعطيت المعجزات لصدقك فيه (بآيات الله يجحدون) فلا بد ان يزيل حزنك باهلاكهم لهذا الظلم العظيم فى حق آياته وليس امهالهم لاهمالهم بل لجريان سنته عز وجل بتحقيق صبر الرسل وشكرهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) بأنواع اخر لم يزل صبرهم (حتى أتاهم نصرنا) فشكروا فاعطوا مع اجر الرسالة أجر الصبر والشكر وكلما طال الصبر كثر الاجر وعظم الشكر وعظم وزر العدو واشتد عقابه (ولا مبدل لكلمات الله) من نصر الرسل واعطائهم أجر تبليغ الرسالة والصبر والشكر وقهر الظلمة والمستهزئين (ولقد جاءك) جميع ذلك (من نبإ المرسلين) لتعلم انه من سنة الله التى لا تتبدل فحزنك كالمنافى له (وان كان) الشان (كبر) أى ثقل (عليك) لمزيد شفقتك (اعراضهم) فلا ينبغى ان يكبر عليك مع مبالغتك فى تبليغ الرسالة واظهار المعجزات واقامة الحجج ورفع الشبه وان لم يبلغ الى حد الالجاء المانع من التكليف اذ لا يفيد معه الايمان وهم انما يعرضون لعدم ما يلجئهم الى الايمان (فان استطعت أن تبتغى نفقا) أى سربا (فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم) من تحت الارض أو من فوق السماء (بآية) ليست مما بين السماء والارض فأت بها لكن لم يجعل الله لك هذه الاستطاعة اذ يصير الايمان ضروريا غير نافع فان نفع كان موجبا لاجتماع الناس على الهدى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لكنه شاء بمقتضى جلاله وجماله اظهار غاية قهره وغاية لطفه (فلا تكونن من الجاهلين) بما تقتضيه الصفات الالهية بل بما يقتضيه عموم المملكة ثم انه لا وجه لان يكبر عليك اعراضهم لان غايتك انك داع والداعى (انما يستجيب الذين يسمعون) وانما يسمع الاحياء وهؤلاء وان كانوا أحياء بالحياة الحيوانية أموات بالنسبة الى الانسانية لموت قلوبهم بسموم الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة (والموتى) انما يسمعون حين (يبعثهم الله) باحياء قلوبهم بموت الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ولا يتصور الا بالموت الطبيعى الذى لا يكون بعده عود الى التكليف الذى فيه الاجابة بل يبقون بعده مدة فى البرزخ (ثم اليه يرجعون) بعدما كانوا عنه معرضين فيستجيبون حين لا تنفعهم الاستجابة (و) يدل على موت قلوبهم أنهم (قالوا) للآيات التى لا يمكن معارضتها انها ليست من الله اذ لا الجاء فيها (لولا نزل عليه آية) ملجئة ليعلم انها (من ربه قل ان الله) لا ينزل الآية الملجئة لان المقصود من انزالها طلب الايمان النافع ولا ينفع معها وليس ذلك من عجزه بل مع انه (قادر على أن ينزل آية) تلجئهم ولكن لا ينزل ما يخل

على أن لا أقول على الله الا الحق فمعناه أنا حقيق بأن لا أقول على الله (قوله تعالى حفى عنها) معناه يسئلونك عنها كأنك حفى بهم ويقال تحفيت بفلان فى المسئلة اذا سألت به سؤالا أظهرت فيه العناية والمحبة والبر ومنه انه كان بى حفيا أى بارا معنيا (وقال أبو عمرو فى صفات المخلوقين يقال فلان معى أى تعب ولا يقال معى من صفات الله عز وجل فقلت ما يكون هذا مثل المكر والعجب فقال هو جائز)

بفائدة الايمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها مخلة بفائدة الايمان فيطلبونها و يوقفون عليها الايمان (و) لا ينافى القول بموت قلوبكم ما يرى فيكم من الحياة فانه (ما من دابة) مستقرة (فى الارض) لا ترتفع عنها (ولا طائر) يرتفع عنها اذ (يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى الحيوانية بلا انسانية فمن خلا منكم عن علم وعمل فكالدابة ومن تحلى بهما فكالطائر وانما صورناه بصورة البشرية لانه (ما فرطنا فى الكتاب) أى لوح القضاء (من شئ) ناقص أو كامل من كل نوع وفعلنا تابع له لكنهم مع نقصهم أعطيناهم من العقل ما لو استعملوه اكملوا فلذلك كلفوا (ثم الى ربهم يحشرون) ليسئلوا هل استكملوا بما كلفوا أم لا (والذين كذبوا بآياتنا) فانهم وان شاركوا الحيوانات فى السمع والانسان فى النطق والعقل فهم فى سماع آياتنا (صم و) فى الاعتراف بحقيتها (بكم) ومع وجود نور العقل فيهم (فى الظلمات) لعدم استنارة نظريتهم وعمليتهم بنور الشرع وهذه الامور وان كانت أسباب الهداية فلا تؤثر بل المؤثر المشيئة الالهية (من يشأ الله يضلله) فلا يعارضه أسباب الهداية (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) عند وجود الاسباب لا بها (قل) لبيان الصراط المستقيم ان أصله التوحيد اذ الشرك افراط بلا حاجة والتعطيل تفريط مخل بالحوائج (أرأيتكم) أى اخبرونى ما فائدة الشرك هل هى فى الرخاء الذى لا تبالون فيه بشئ أو فى حال الشدة فبينوا (ان أتاكم) أعظم وجوهها الذى هو (عذاب الله أو) مقدمته اذ (أتتكم الساعة) وانما اعتبر أعظم وجوه الشدة اذ لا حاجة فى الادنى الى الشرك بلا نزاع (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى تخصون الغير بالدعوة الى رفع تلك الشدة لمزيد قوته بل لا تدعونه مع الله أيضا (بل اياه تدعون) أى تخصونه بالدعوة وليست دعوتكم تلزمه الاجابة حتى يتوهم فيها الشرك بل هو على اختياره (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و) اذا لم يكشف لا تدعون غيره بل (تنسون ما تشركون و) لما كانت الفائدة العامة فى اتخاذ الاله الالتجاء اليه فى الشدائد (لقد أرسلنا) بهذه الفائدة (الى أمم) مختلفة لاتفاقهم على الاعتراف بها (من قبلك) لتتبعهم أمتك لو أخذوا بها وتعتبر بهم لو لم يأخذوا بها فاخذوا عليها فلم يبالوا بالهة السكونهم فى الرخاء (فأخذناهم بالبأساء) أى الشدائد الخارجة (والضراء) أى الشدائد الداخلة (لعلهم يتضرعون) الى الله فيجيبون الدعوة بلا كلفة لكنهم لم يبالوا بما لم يستأصلهم وكان حقهم ان يبالوا بالشدائد الخارجة فضلا عن الداخلة (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهل لا تضرعوا حين مجئ بأسنا مؤكد الدلالة المعجزات (ولكن قست قلوبهم) فلم يكن فيها لين يوجب التضرع (و) لولا أنه لم يعودوا الى التوحيد أيضا لانه (زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الشرك فلا يصح عندهم حتى يحملوا مجئ البأس عليه فلما لم يفدهم البأساء التضرع الداعى الى التوحيد رفعه الله عنهم حتى نسوه (فلما نسوا ما ذكروا به) العذاب الاخروى من البأساء التى لم تستأصلهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من مطالبهم ورغائبهم استدراجا لهم بأن ذلك البأس

وقيل كأنك حفى عنها كأنك أكثرت سؤالك حتى علمتها يقال أحفى فلان فى المسئلة اذا ألح فيها وتابع والحفى السؤل باستقصاء (قوله حملت حملا خفيفا) المنه خفيف على المرأة اذا حملت وقوله فمرت به أى فاستمرت أى قعدت به وقامت (قوله عز وجل حرض) وحضض وحث بمعنى (قوله حنيذ) أى مشوى فى خد من الارض بالرضف وهى الحجارة

لو كان على الشرك لم يكن معه هذا الفتح ولم يزل ذلك (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من مطالبهم ورغائبهم مع الشرك فتأكد مزيد تأكد وتزين مزيد تزين (أخذناهم) بالعذاب المستأصل (بغتة) أى فجأة بلا تقدم مذكر اذ لم يفدهم فى المرة الاولى (فاذاهم مبلسون) أى قانطون اذ لو انقطع صار كالاول فاستمر عليهم وان انتقلوا من نوع منه الى آخر ولما كان عذابهم مستأصلا عم صغارهم وكبارهم (فقطع دابر) أى نسل (القوم الذين ظلموا) وان لم يكن ظالما لانهم لو كبروا لتوارثوا الظلم من آبائهم (والحمد لله) على اهلاك الظالمين واهلاك نسلهم بتبعيتهم (رب العالمين) اذ ربى الباقين بالعدل من غير تشويش ظالم وهم المقصودون من العالم فكأنما ربى الكل وان زعموا انا نلتجئ اليهم فى بعض الشدائد انا نسترق بأسمائهم ويخبرونا ببعض المغيبات والمعالجات (قل) لا دلالة لالتجائكم على الهيتها حتى يصح الشرك وانما اعتبرناه لالزامكم اذ تعترفون به والرقى انما تدفع أذيات الشياطين وهى التى تخبر ببعض المغيبات التى شهدتها والمعالجات ولا الهية بذلك بل بعموم القدرة والعلم وليس لها ذلك (أرأيتم) أى اخبرونى (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) فاذهبهما بالكلية بحيث لا يكون فيهما مجال للادوية (وختم على قلوبكم) فمنعها العلوم بالكلية بحيث لا مجال فيه للادوية أيضا (من اله غير الله يأتيكم به) أى بذلك المأخوذ والشياطين انما تدفع أذياتها أو تعلم الادوية ولا ترد ما أذهب الله منها بالكلية (انظر كيف نصرف الآيات) أى نوردها بطرق مختلفة (ثم) أى بعد رؤيتهم تصريفنا الآيات (هم يصدفون) أى يعرضون ويستمرون عليه بتجديد الامثال فلا يتأملون فيها عنادا وحسدا وكبرا وللاعتذار بجهلهم (قل) للمعرضين عنها بعد تصريفنا اياها الاخذ ماذكر (أرأيتكم ان أتاكم) على اعراضكم (عذاب الله) المستأصل لكم (بغتة) أى فجأة من غير تقديم مايشعر به اذ لم يفد ما تقدم (أو جهرة) بتقديمه مبالغة فى ازاحة العذر (هل) يظلم فيه أحد أم لا بل لا (يهلك الا القوم الظالمون) بالاعراض عما صرف الله له من الآيات وكيف يعم الكل مع انه منذر به على ألسن الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) لاهل الايمان والاعمال الصالحة (ومنذرين) لاهل الكفر والمعاصى ونصدقهم بالمعجزات فلا بد أن يصدقوا فيما بشروا وأنذروا (فمن آمن وأصلح) للاعمال والاخلاق فهم أهل البشارة (فلا خوف عليهم) من ذلك العذاب قبل نزوله (ولا هم يحزنون) عند نزوله (والذين كذبوا بآياتنا) المصرفة فلم يؤمنوا ولم يصلحوا بها الاعمال والاخلاق (يمسهم العذاب) النازل بعد الانذار به لا بطريق الاتفاق بل (بما كانوا يفسقون) عن أمر الله فى ترك الايمان ومباشرة الاعمال الطالحة واكتساب الاخلاق الرديئة ولو قيل لو اختص العذاب بالمنذر به لكان المنذرون أصحاب خزائن العذاب ولو لم يكونوا أصحابها فلا أقل من أن يكون لهم اطلاع على الغيب الكلى فان لم يعلموه فلا أقل من أن يكونوا املائكة ينزلونه على من شاؤا أو يصرفونه عمن شاؤا وأولى الناس بذلك أكملهم (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أخص من أشياء بفتح خزانة العذاب عليه (ولا أعلم الغيب) كله وان علمت ان كل كافر معذب أبدا (ولا أقول لكم انى ملك) أنزل العذاب

على

الحماة (قوله تعالى حاش لله) وحاش لله قال المفسرون معناه معاذ الله وقال اللغويون حاشا لله معناه التنزيه والاستثناء واشتقاقه من قولك كنت فى حشى فلان أى فى ناحية فلان ولا أدرى أى الحشى آخذ أى الناحية آخذ قال الشاعر

يقول الذى أمسى الى الحزن أهله
بأى الحشى أمسى الخليط المباين

obeikandi.com

على من أشاء وأصرفه عمن أشاء (ان أتبع) فيما أقول لكم (الا ما يوحى الى) من الغيب اذ يكشف لى عن الملائكة فيخبروني وان أنكروا كشف الملائكة عليك (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فى المشاهدات الظاهرة فكذا فى مشاهدة الملائكة (أ) تنكرون الفرق منهما بالنسبة الى الامور الباطنة مع ظهوره فى الظاهرة (فلا تتفكرون) ولكنهم انما يتفكرون لو علموا انهم عماة وأما من اعتقد أنه بصير فلا يمكن ارشاده أبدا ومن علم انه أعمى لا يمكنه أن يهتدى بنفسه بل يحتاج الى الانذار ولذلك قال (وأنذر به الذين) يعلمون انهم عماة فهم (يخافون أن يحشروا الى ربهم) قبل أن يسمعوا من بصراء الوحى فاذا سمعوا بذلك تيقنوا به تيقن الاعمى الظاهر بقول من يعتمد عليه من بصراء الظاهر ويخافون أيضا انهم اذا حشروا (ليس لهم من دونه ولى) من الآلهة بخلاف المشرك فانه ينكر الحشر ويزعم انه لو حشر فله ولى تدفع عنه العذاب (ولا شفيع) من الانبياء والاولياء كأهل الكتاب فهذان لا ينفعهما الانذار كما لا ينفع الجازم بعدم الحشر (لعلهم يتقون) الاعتقادات الفاسدة والاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة فلا يستمرون على مقتضى عماهم (ولا تطرد) البصراء بقول العماة الذين يزعمون أنهم بصراء وانما البصراء هم (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اذ يرونه فى تصريفهما (يريدون وجهه) أى رؤيته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والعماة لكونهم أرباب شرف ومال يكرهون مجالستهم لقلة شرفهم ومالهم فقال عز وجل لأشرف الناس (ما عليك من حسابهم من شئ) أى ما يعود عليك من نقصهم فى الشرف والمال من شئ (وما من حسابك عليهم من شئ) أى وما يعود عليهم من كمالك فى الشرف والمال عليهم من شئ فاذا لم يلحقك نقصهم ولم يأخذوا كمالك بسببه عنك فلا وجه لطردهم (فتطردهم) بلا سبب (فتكون من الظالمين) بطرد البصراء بقول العماة ومن غاية عماهم كرهوا مشاركتهم فى المجالس كما كرهوا مشاركتهم فى نفس الايمان وذلك من ابتلاء الله تعالى كما قال (وكذلك) أى وكما فتناهم فى مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع بحار الحياة الابدية المشتملة على جواهر الحكم يتموج بها على كل أحد كذلك (فتنا بعضهم) وهم الشرفاء (ببعض) وهم الاخساء بما مننا عليهم بالايمان (ليقولوا) أى الشرفاء (أهؤلاء) الاخساء (من الله عليهم) بشرف الايمان تخصيصا لهم (من بيننا) طائفة الشرفاء مع ان الشرفاء أولى بكل شرف فلو كان شرفا لانعكس الامر فقال عز وجل انما مننا عليهم بنعمة الايمان لانا علمنا انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها احق شكرها والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فيمنعهم النعمة أو يعطيها غيرهم (و) كيف تطرد هؤلاء الخواص وليس لك طرد عوام المؤمنين وان كانوا عصاة بل (اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) فانه وان كان فيهم عصاة (فقل سلام عليكم) اكراما لهم على الايمان وأمانا لهم من هتك حرمتهم على المعاصى بل قل لهم (كتب) أى أوجب (ربكم) وان لم يجب عليه شئ (على نفسه الرحمة) لكل مؤمن تاب من المعاصى فقال (أنه) أى الشأن (من عمل

وقولهم حاشى فلانا أى أعزل فلانا من وصف القوم بالحشى فلا أدخله فى جملتهم ويقال حاشا لفلان وحاشى فلانا وحاشا فلان ٣ فمن نصب فلانا أضمر فى حاشى مرفوعا والتقدير حاشى فعلهم فلانا ومن خفض فلانا فباضمار اللام لطول صحبتها حاشا وجواب آخر انما خلت حاشى من الصاحب أشبهت

٣ قوله بالهامش وحاشى فلانا كتب عليه بالهامش قال أبو عمر وسمعت المبرد يقول اذا قال حاشى زيدا فهو بمعنى حاشيت زيدا

منكم) أيها المؤمنون اذلا توبة للكافر عن المعاصي الفرعية مع بقاء كفره (سوأ بجهالة) أي غفلة عن الله لا بطريق الجراءة عليه فانه يخاف معه مقته المانع من التوبة أو من قبولها لكونها غير مستجمعة للشرائط (ثم) أي بعد الغفلة الداعية الى السوء (تاب من بعده) ولو بعد مدة مديدة (وأصلح) ما أفسده من حقوق الناس ومن حقوق الله التي لا تسقط بمجرد الاستغفار (فانه غفور) لذلك السوء (رحيم) بابداله حسنة (و) كما فصلنا هذه الآية بذكر القيود (كذلك نفصل الآيات) لتستبين سبيل المؤمنين فتجر منافعه (ولتستبين سبيل المجرمين) فتجتنب مضاره فان زعموا أنه لا ضرر في سبيلهم (قل) كفى بغاية التذلل لمن لا يخلو عن ذلة ضررا فان العقل والشرع تطابقا على كونه ضررا أما العقل فظاهر وأما الشرع فلورود النهي عنه (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) أي تدعونهم آلهة مع اعترافكم بأنهم (من دون الله) والدون لا يكون الها ولا مستحقا للعبادة لانها لما كانت غاية التذلل اختصت بمن له غاية العلو فان زعموا أنه لا يخالف العقل لاطباق من مضى من العقلاء عليه والواجب اتباعهم (قل) انما الواجب اتباع الامر الالهي فان لم يوجد فاتباع العقل وهم قد خالفوا الامرين لاتباع أهوائهم (لا أتبع أهواءكم) وهو وان اتفقوا على كونه هداية عن الضلال (قد ضللت اذا) لمخالفة الامر الالهي والعقل جميعا (وما أنا من المهتدين) باعتبار الدليل الكشفي أيضا لان ظهور الحق ليس باعتبار الهيئة وما سوى ذلك الاعتبار لا يوجب استحقاق العبادة والعبادة فيما وان رجعت الى الحق فقد تضمنت اعتقاد نقص في الحق لانه لا يعبده في المظهر ما لم يعتقد كمال ظهوره فيه وجعل ذلك كمال الحق عين اعتقاد النقص فيه وفيه اشارة الى اني كيف أطرد الذين يدعون ربهم وهم بذلك في غاية الشرف اذ يتقربون به الى من له غاية العلو للذين يدعون من دون الله وهم في غاية الذلة ومن ذلتهم انهم مع كونهم عقلاء يتذللون لاهويتهم التي هي دون العقل على أن الشرف انما هو للحسن والضعة للقبح ولا أقبح من الضلال الذي هو ترجيح الاهواء على العقول وليس من ترجيح الكشوف على العقول ولا يقابل هذا الشرف والدناءة ما هو من سعة المال والجاه وعدمهما لانهما عارضيان خارجيان والاولان ذاتيان وان زعموا ان آباءهم كشفوا بما تعبدناهم فيه فرجحوه على ما عقلوه (قل) ان صح قولكم فالكشف الصحيح ما لا يكذبه العقل وقد كذب كشفهم وكشفي مصدق به أو بالمعجزات (اني على بينة) لا يمكن التشكيك فيها لكونها (من ربي وكذبتم به) تقليدا للآباء بلا بينة من العقل ولا من المعجزات ولا يرجعون عنه الى التصديق ما لم يلجؤا اليه بالعذاب لكنه مؤخر فكأنكم تستعجلونه (ما عندي ما تستعجلون به) اذ لو كان عندي لكنت أنا الحاكم لكنه (ان الحكم الا لله) وقد حكم بتأخيره لكنه محقق الوقوع لانه (يقص الحق) فلا بد من تعذيب العاصي واثابة المطيع كيف وفعلهما يقتضي الفصل بينهما (وهو خير الفاصلين) فان قالوا يجوز أن يفوض اليك الحكم ليصدق قولك وقد قصد تصديقك (قل) يكفي في تصديقي اظهار المعجزات على يدي والتفويض الي يبطل فائدة التكليف الذي

بعثت

فاضت الى الامم ما بعدها (وقوله عز وجل حصحص الحق) وضح وتبين (قوله عز وجل حرضا) المرض الذي قد أذابه الحزن والعشق قال الشاعر
اني امرؤ لج بي حزن فاحرضني
حتى بليت وحتى شفني السقم
(قوله عز وجل من حمإ) جمع حمأة وهو الطين الاسود المتغير (قوله عز وجل حفدة) أي خدما وقيل أختانا وقيل أصهارا وقيل أعوانا وقيل بني الرجل

obeikandl.com

بعثت لاجله فانه (لوان عندى ما تستعجلون به) مع حرصى على تصديقكم اياى وقد وقفتموه على ذلك (لقضى الامر) أى اتم أمره قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) من غير أن يفيدكم تصديقكم شيأ لوقوعه بعد زمان التكليف واذا أخر فقد يرجع البعض الى التصديق قبل معاينته أو يحدث من نسل البعض من يصدق قبلها (و) الظالمون لا يفوتونه بل يزداد عليهم شدته اذ (الله أعلم بالظالمين) وان قالوا لو كوشفت لاطلعت على الغيوب كلها وأخبرت عن وقت العذاب بعينه فقل انما كوشفت بما فتح الله على ولا يطلع على كله الا من عنده مفاتح الغيب (و) لكنه مخصوص بالله اذ سبحانه وتعالى (عنده مفاتح الغيب) أى فى علمه استعدادات حقائق الاشياء التى يفتح الله بها خزائن أسمائه وصفاته فيخرج ما فيها بالقوة من الظهور بصورها أو آثارها الى الفعل وقد اختصت به بحيث (لا يعلمها) على التفصيل التام (الا هو و) لا ينحصر علمه فى ذلك بل (يعلم ما) أخرج من خزائنه فأفاضه على ما (فى البر والبحر) من الاجناس والانواع (و) لا ينحصر علمه فى الكليات والجزئيات التى لا تتغير بل (ما تسقط من ورقة الا يعلمها و) كيف (لا) وقد أوجدها بعد ما قدرها فما من (حبة) يحدث منها النبات والثمار ولو (فى ظلمات) الطبقة السابعة من (الارض ولا رطب) يقبل صورا مختلفة (ولا يابس) يلتزم صورة واحدة (الا فى كتاب) وهو لوح القدر (مبين) لما فى القلم الاعلى الآخذ من العلم الالهى فهو سابق عليهما وعلم فى الازل حدوث وما يحدث من أصول زالها وتغير ما يتغير من القوابل فلا يتغير علمه وانما يتغير اضافة المعلوم بالماضى والحال والاستقبال خص منه البعض لذاته وبالبعض الآخر خواصه وبالبعض الآخر العوام لكن لم يطلعهم على تفاصيل الجزئيات بأسرها وان بلغوا من القرب ما بلغوا ولما كان علمه تابعا للمعلومات من الحقائق واستعداداتها كان حكم التابع له تابعا فتأخر العذاب الى يوم القيامة لاقتضاء استعدادهم ذلك (و) ان تحقق من أسبابه الوفاة والبعث بعد اكتساب المعاصى من غير عجز فيه ولا جهل اذ (هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار) قبله (ثم يبعثكم فيه) أى فى النهار بعده لا للجزاء اذ لم يجئ وقته الذى اقتضى استعدادكم وقوعه فيه بل (ليقضى أجل مسمى) أى يتم مقدار حياة كل أحد لاقتضاء استعدادهم تأخيره عنه (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم) يأتى وقته بمقتضى استعدادكم فحينئذ (ينبئكم بما كنتم تعملون) مبالغة فى عدله (و) فعله وان كان تابعا للاستعداد فليس للاستعداد أو للحقائق التى لها الاستعداد قهر على الله سبحانه وتعالى بل (هو القاهر) لانه (فوق عباده) ولا قهر للدون سيما اذا كان عبدا أو من أحواله فتبعية فعله للاستعداد كتبعية المسبب للسبب (و) لذلك (يرسل عليكم حفظة) وان أمكنه التحفظ بدونهم فلا يزالون يحفظونه (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا و) ليس توفيتهم بتقصير من الحفظة بل (هم لا يفرطون) كما لا يفرط الرسل (ثم) التوفى ليس ابطالا للحفظ بل رفع درجة اذ (ردوا الى الله) وهو أولى بالحفظ لانه (مولاهم) لكن هذا الحفظ مقيد بعدم ابطال حكمة العدل الذى هو مقتضى صفته (الحق ألا له الحكم)

من نفعه منهم وقيل بنو المرأة من زوجها الاول (قوله عز وجل حاصب) أى ريح عاصف ترمى بالحصباء وهى الحصى الصغار (قوله تعالى حففناهما بنخل) أطفناهما من جوانبهما والحفاف الجانب وجمعه أحفة (قوله تعالى حمئة) مهموز ذات حمأة وحمية وحامية بلا همز أى حارة (قوله تعالى حنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا (قال أبو عمر

ولذلك لم يؤخر عذابهم عن وقت اقتضائه استعدادهم بل أسرع حسابهم (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ورقم ولو أنكروا كونه أولى بالحفظ (قل) فلم تخصونه بالالتجاء اليه عند الشدائد (من ينجيكم من ظلمات) أي من شدائد (البر) كخوف العدو والحريق وضلال الطريق (والبحر) كخوف الغرق والعدو والضلال وسكون الريح فلولا انه المنجي فلم (تدعونه تضرعا) أي تذللا اليه تحقيقا للعبودية (وخفية) تحقيقا للاخلاص وتعدونه الشكر مؤكدا بالقسم اذ تقولون (لئن أنجانا من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) باعتقاد انك المخصوص بكل انعام والثناء عليك وصرف الاعضاء الى ما أمرتها به فان زعموا أنهم وان خصوا الله بالدعوة لكن نفعتهم عبادة من عبدوه من قبل فانهم شفعوا عنده حين دعوه (قل الله) من غير شفاعة أحد ولا عون (ينجيكم منها) أي من تلك الشدة (ومن كل كرب) تتوجهون فيه اليه أو الى غيره اذ لا تتوجهون فيه الى أحد (ثم أنتم) بعد النجاة عنها الموعود فيها بالشكر وعدا وثيقا بالقسم (تشركون) حتى انكم تنسبون النجاة الحاصلة بعد تخصيصه بالدعوة الى شفاعة الشريك فقد جعلتم الشرك مكان الشكر (قل) للمشركين بعد النجاة الموعود فيها بالشكر انما أشركتم لامنكم من الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشأ الخوف وهو القدرة الالهية على أنواع الشدائد من الجهات كلها اذ (هو القادر على أن يبعث عليكم) سيما اذا أبدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك (عذابا) أعظم من تلك الشدة (من فوقكم) كامطار النار أو الحجارة أو اسقاط الكسف (أو من تحت أرجلكم) كالخسف والطوفان (أو) مما بين السماء والارض مثل أن يقوى أعداءكم حتى (يلبسكم) أي يخلطكم (شيعا) أي فرقا مختلفة في القتال (ويذيق بعضكم بأس) أي شدة (بعض) من قبيلة أو من قبيلة العدو لعدم الشعار (انظر) أيها العاقل (كيف نصرف الآيات) نوردها على وجوه شتى (لعلهم يفقهون) أي فعل من يرجو فهمهم لبعضها الداعي الى رجوعهم للحق (و) لكن لم يفقهوه بل (كذب به قومك) الذين عرفوا صدقك فيما بينهم فلا يتصور منك الكذب على الله مع تصديقه اياك بالمعجزات (و) ليس تكذيبهم لظهور امارات الكذب عليه بل هو لو لم يكن معه المعجزات لعلم أولو البصائر انه (هو الحق) لا يتعداه الى غيره فان قالوا لم تظهر حقيقته لنا (قل) لهم بعد ظهور حقيقته في نفسه وتأكدها بتصريف الآيات المعجزة وسائر المعجزات لم يبق الا أن يلجئكم الى التصديق به لكني (لست عليكم بوكيل) ألجئكم الى التصديق به وانما أبلغكم اليه العذاب الموعود عليه لكنه لم يستقر بقلوبكم قبل وقوعه مع كثرة الدلائل عليه ووضوحه في نفسه لكن (لكل نبأ) أي لكل خبر (مستقر) أي وقت استقرار لصدقه أو كذبه (وسوف تعلمون) أنه لم يستقر بقلوبكم مع كثرة دلائل استقراره بتصريف الآيات الظاهر حقيقتها مع اعجازها وتصديق سائر المعجزات لها ومن أسباب عدم استقرار أنباء القرآن بالقلوب مجالسة الخائضين فيه بالطعن (و) لذلك (اذا

رأيت)

عن ثعلب عن ابن الاعرابي عن المفضل وحنانا من لدنا أي قال هيبة قال كل من رآها به ووقره (قوله تعالى حصدا خامدين) معناه والله أعلم انهم حصدوا بالسيف والموت كما يحصد الزرع فلم يبق منهم بقية وقوله تعالى منها قائم وحصيد يعني القرى التي أهلكت منها قائم أي قد بقيت حيطانه ومنها حصيد قد انمحى أثره

رأيت) أيها المؤمن (الذين يخوضون) بالطعن والاستهزاء (في آياتنا) المنسوبة الى مقام عظمتنا الحقيقة أن تعظم بما يناسب عظمتنا (فأعرض عنهم) بترك مصاحبتهم ومجالستهم لئلا يقع شئ من مطاعنهم بقلبك ولا يحضره الرد لاحتجابه ببعض الاهوية أو لقصوره على أن حضور المنكر اذا لم يقدر على دفعه مشاركة لصاحبه (حتى يخوضوا في حديث غيره) أى غير الخوض في آياتنا (واما ينسينك الشيطان) أى وان ينسينك الشيطان الأمر بالاعراض بأن ينتهز وقت الفترة التي لابد من وقوعها لمجالست معهم فلا تؤاخذ به لكن اذا ذكرت (فلا تقعد) أى فلا تدم قعودك (بعد الذكرى) المخرجة لقعودك عن حكم النسيان معهم لظلمهم بالطعن في الكلام المعجز بما يتوهمون فيه من التناقض أو اللحن أو عدم الارتباط أو الحشو والتكرار مع ان الواجب عليهم عند رؤيته عجزهم عن مثله لفظا ومعنى فمن قدر على مثل لفظه كان باعتبار المعنى ركيكا ومن قدر على مثل معانيه الظاهرة كان باعتبار اللفظ ركيكا الرجوع الى علمائه فالقعود معهم قعود (مع القوم الظالمين) الذين من ركن اليهم مسته النار (وما على الذين يتقون) أى يقدرون على التحفظ من شبهاتهم (من حسابهم) أى من خسرانهم بالخوض (من شئ ولكن) أمروا بالاعراض عنهم ليكون (ذكرى) لضعفاء المسلمين (لعلهم يتقون) يبلغون مبلغ المتوقى من شبهاتهم بالجلوس مع علمائه بدلهم وكيف يصح صحبة الطاعنين ولا تصح صحبة من لا يطعن ولكن اتخذ أعمال الدنيا دينه ولذلك ورد (وذر الذين اتخذوا) أعمال الدنيا (دينهم) فاعتقدوا أنها نهاية السعادة فكان (لعبا ولهوا) لان أعمال الدنيا لا تخرج عنهما فن صحبهم مال الى طبعهم فلا يتأمل في آيات الله ولا يلتفت الى أعمالها (و) ذلك لانهم (غرتهم الحيوة الدنيا) فظنوا ان السعادة كلها في لذاتها فبين غرورها (وذكر به) أى ببيانها من أراد الميل اليها أو الى أهلها بأنه سبب (أن تبسل) أى تسلم الى الهلاك (نفس بما كسبت) بهذا الغرور من انكار الآخرة فصارت (ليس لها من دون الله ولى) يقربها منه (ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل) أى تفد بما يقابله (كل عدل) أى كل نوع من أنواع الفداء (لا يؤخذ) أى لا يقبل (منها) لبعدهم عن مقام الفداء اذ (أولئك) البعداء عن السعادة الحقيقية لاغترارهم بسعادة الدنيا التي غايتها اللعب واللهو هم (الذين أبسلوا) أى سلموا للهلاك بحيث لا يعارضه شئ (بما كسبوا) بهذا الاغترار من انكار الآخرة معها والانهماك في الشهوات المحرمة (لهم شراب من حميم) جزاء على الاشربة المحرمة (وعذاب أليم) بما تلذذوا بالشهوات المحرمة لا وحدها بل (بما كانوا يكفرون) بالآخرة معها وان زعموا ان لذات الدنيا والاغترار بها ولو أفضى الى انكار الآخرة انما يضر من لم يتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا (قل أندعوا من دون الله) ليكون وليا أو شفيعا ولا يضر معه لذات الدنيا ولا انكار الآخرة (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) في أمر الدنيا (ونرد) في أمر الآخرة (على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) للاقبال اليها فنصير كالمستمر على الضلال بل (كالذى استهوته) أى استمالته عن الطريق الواضح (الشياطين) أى الغيلان يتبعهم ويسير معهم

(قوله عزوجل حدب) أى نشز ونشز من الارض أى ارتفاع (قوله عزوجل حصب جهنم) حطب جهنم كل شئ ألقيته في النار فقد حصبتها به ويقال حصب جهنم حطب جهنم بالحبشية قولها لحبشية ان كان أراد أن هذه الكلمة حبشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه رآه وأراد أنها حبشية الاصل

obeikandl.com

سيراممتدا (فى الارض) حتى يخرج من العمران لايدرى مقصده لكونه (حيران) فكذا من اتخذ من دونه وليا أو شفيعا يذهب به وليه وشفيعه الى مهالك ضلاله. لايدرى مقصده الذى هو سائر اليه من أمر الآخرة وأشد من ذلك الضلال ما كان مع وجود من يهديه سيما اذا كفر كالمستهوى المذكور اذا كان (له أصحاب يدعونه الى الهدى) أى الطريق الواضح بقولهم (ائتنا) وهو لايسمع لهم فكذلك يدعونا الله وآياته فان زعموا أن ما هم عليه هدى بجمهور العقلاء (قل ان هدى الله) الذى أرسل به رسله (هو الهدى) فان زعموا ان مشايخهم أتوا بهداهم من الله كالانبياء فقل لهم مشايخكم أمروكم بالشرك (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فأى الامرين أحق بالنسبة اليه بل غاية أمر مشايخكم انهم أمروكم بالاسلام لله باعتبار بعض مظاهره والرسل انهم لو اعتبروا المظاهر فلا يخصون مظهرا من مظهر فأى الامرين اتم (و) أيضا أمرنا (أن أقيموا الصلاة) وهى العبادة الشاملة لانواع التذلل لله بجميع أجزاء الانسان وليست عندكم فكفى بها فضلا (و) أمرنا ان (اتقوه) ومشايخكم تأمركم بتقوى الاصنام والشياطين (و) لا وجه لذلك اذ لا حشر اليها بل (هو الذى اليه تحشرون و) كيف لا يكون اليه الحشر وهو النهاية وقد كان منه البداية اذ (هو الذى خلق السموات والارض) كيف وفيه ظهور الحق ومن سنة الله ترجيح جانبه فى كل شئ لذلك كان خلقه السموات والارض (بالحق) وكيف لا يتقى للحشر اليه (ويوم يقول) للمحشور (كن فيكون قوله الحق) اذ لا يعنه للعبث فلابد أن يقول الحق فى شأن المحق والمبطل (و) لا يقتصر على القول اذ (له الملك) فلابد أن يفعل بالمطيع والعاصى فعل الملوك لمن يطيعهم أو يعصيهم وهو وان كان له دائما فانما يظهر اختصاصه به (يوم ينفخ فى الصور) لان جمع الارواح فيه لا يكون الا للمتفرد بالملك ولا يفعل بمقتضى الملك على سبيل التحكم بل يراعى العلم اذ هو (عالم الغيب والشهادة و) ليس ذلك أن يعذب أو يرحم من علم انه يعذبه أو يرحمه على سبيل التحكم اذ (هو الحكيم) وليس المراد احكام الفعل بل رعاية الخبرة الباطنة اذ هو (الخبير و) اذكر ان اتخذ دينه لعبا ولهوا وأنكر الضلال فيه وأنكر كون من كان عليه كالذى استهوته الشياطين وزعم ان هدى الله ما كان عليه القدماء (اذ قال ابراهيم) الذى يزعمون انهم على دينه ويفتخرون به (لابيه) منكرا عليه وهم ينكرون انكارك على آبائك ولا ينكرون عليه الملقب (آزر) ومعناه المعوج أو المخطئ واسمه تارخ (أتتخذ أصناما) أى صورا مصنوعة كصور لعب الصبيان المسماة بأسماء الملوك والمشايخ فعلتم مثله فى حق الله ثم جعلتموه جدا فاتخذتموها (آلهة) وليس هذا القول منى بطريق الهزل بل (انى أراك وقومك) وان كان فيهم حذاق بأمر الدنيا غرقى مستقرين (فى) بحر (ضلال مبين) باعتقاد الهيتها أو اتصافها بصفاته أو استحقاقها للعبادة لحلول الحق أو لظهوره بالالهية فيها أو لكونها مظاهر كاملة له أو مخصوصة بظهوريته لان الالهية بوجوب الوجود بالذات وهى ممكنة مصنوعة وانى لها الاتصاف بصفاته وهى عاجزة عن النفع والضر خالية عن الحياة والسمع والبصر والعبادة غاية

التذال

معناها العرب فتكلمت بها فصارت عربية حينئذ والا فليس فى القرآن غير العربية ويقرأ حضب بالضاد معجمة وهو ما هيجت به النار وأوقدت (قوله تعالى حصبها) أى صوتها (قوله تعالى حمل) ما تحمل الاناث فى بطونها والحمل ما كان على ظهر أو رأس (قوله تعالى حدائق ذات بهجة) بساتين ذات

التذلل فلا يستحقهما من لا يخلو عن هذه الوجوه من الذلة وانما يستحقهما من كان فى غاية العلو وحلول الحق فيهما ان كان حلول المظروف فى الظرف فهو من خواص الاجسام وان كان حلول العرض فى الجوهر أو حلول الصورة فى المادة فهو حلول افتقار ينافى وجوب الوجود ولا ظهور للحق بالالهية التى هى بوجوب الوجود وأين كمال المظهرية مع النقائص المذكورة وأين الاختصاص ولا وجود لشئ بدون ظهوره فيه (و) كما أريناه ابراهيم وجوه الضلال فى اتخاذ الاصنام آلهة باعتبار صورها وأجسامها (كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ليعلم ان شيأ من روحانيات الافلاك والكواكب والمشايخ والشياطين لا يصلح للالهية (وليكون من الموقنين) بالتوحيد بالاستدلال بالادلة الكثيرة وبالسماع من تلك الارواح ولما رأى الملكوت وأيقن ان شيأ منها لا يصلح للالهية أراد الرد على قومه فى اعتقاد الهيتها الحسية باعتبار افتقارها فى أنوارها الى أجسامها ذاتاً لافول وان كانت علوية وكذا فى اعتقاد الهية تلك الاجسام كما رد عليهم فى اعتقاد الهية الاصنام فالمظهر ظهور الكواكب التى كانوا يعبدونها (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) الزهرة أو المشترى (قال) لقومه ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم أولا ثم ابطال قولهم بالاستدلال لانه أقرب لرجوع الخصم (هذا ربى فلما أفل) وهو دناءة تنافى الالهية بل تمنع من الميل الى صاحبها فضلا عن اتخاذه الها أو معبودا فضلا عما يفتقر اليه (قال لا أحب الآفلين) ثم انتظر نورا أعلى منه (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال) محودنا انه بعظمته عين الضلال اذ لا تكون عظمته مطلقة والاله لابد وان تكون عظمته مطلقة فلا يصلح للالهية فضلا عن المفتقر اليه (لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين) بجعل العظمة القاصرة مطلقة كاملة فانتظر نورا فى غاية العظمة (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) لم يؤنثه لئلا يعارض عظمته نقص الانوثة ولو غير حقيقية وهى وان كانت فى الواقع لم يأت به لفظا لانه قصد بذلك مساعدة الخصم أولا (هذا أكبر) والالهية لا تجاوز الاكبر (فلما أفلت قال يا قوم) ليس بأكبر على الاطلاق بل لا يمكن جعله شريكا لما هو أكبر بالاطلاق (انى برئ مما تشركون انى) أى بعد ما برئت (وجهت وجهى) أى وجه قلبى وروحى فى المحبة والعبادة بل جعلته مسلما (للذى فطر السموات والارض) وأرواحهما ليست فاطرة لهما فانهما لا تفعلان الا بهما (حنيفا) مائلا عن الالتفات اليهما والى أرواحهما وان كان فيهما ما هو من أسباب الحوادث اذ لا أثر للاسباب وانما هو لله معها لا بها ولا يفتقر اليها بل جرت بذلك سنته (وما أنا من المشركين) بأن الاثر لما ظهر منه فيهما أو فى أسبابهما (وحاجه) أى أراد وا مغالبته بالحجة (قومه) أى القائمون على العناد فزعموا أن الآثار الارضية منتسبة الى حركات الكواكب وأوضاعها لاختلافها باختلافها فهى المؤثرة فيها وان كانت لامكانها مفتقرة الى الله تعالى (قال أتحاجونى فى) توحيد (الله وقد هدان) لاقامة الحجج ورفع الشبه على نفى الهية ما سواه

حسن واحدتها حديقة والحديقة كل بستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة (قوله عز وجل حق عليهم القول) أى وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب ومثله حقت كلمة ربك أى وجبت (قوله تعالى الحيوان) الحياة كقوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان أى الحياة والحيوان أيضا كل ذى روح (قوله عز وجل

وقد ثبت انها ناقصة فى ذواتها وكمالاتها من غيرها ولا الهية للناقص بالذات لان كماله لا يكون
مطلقا (ولا أخاف) الضرر على نفسي من تأثير (ما تشركون به) لان تأثيرهم من كمالاتهم
وهي لهم من ربي فلا يؤثرون (الا أن يشاء ربي) أن يجعل لهم (شيأ) من التأثير لكنه لا يشاء
فى شأنى لانه (وسع ربي كل شيء علما) فعلم انه لو أوجد التأثير فيهم بما يضرون به من بعثه
لتوحيده صار محجوبا (أ) تتكرون هذه الامور مع وضوحها (فلا تتذكرون) فى هذه
الامور التى لا يحتاج فيها الى تعمق (وكيف أخاف) عند التوحيد ضرر تأثير (ما أشركتم)
أى ما جعلتموه أيها الملحدون من عند أنفسكم شريكا فى غاية الضعف المالك الذى فى غاية القوة
من افراط جهلكم (ولا تخافون) ضرر تأثير الله فيكم من جهة (أنكم أشركتم بالله) المالك
القوى (ما) أى مملوكا ضعيفا باستقلال منكم اذ (لم ينزل به عليكم سلطانا) أى حجة مع أنه
انما يتصور جعل المملوك شريك المالك بجعله اياه شريكه فان كان لهذا المملوك الضعيف
تأثير بالضرر لمن أنكر شركه وللمالك القوى تأثير بالضرر لمن أنكر توحيده (فأى الفريقين)
المشرك الآمن من تأثير الله أو الموحد الآمن من تأثير الشركاء (أحق بالأمن) لكن انما
تسمعون هذا (ان كنتم تعلمون) مقدار تأثير الله وتأثير الشركاء وانهم لا يؤثرون الا بتأثير الله
وانه لا يمكنهم من التأثير فيمن يغار عليهم له ثم أشار الى أن الاحقية انما تعتبر حيث كان للجانب
الآخر احتمال مرجوح ولا احتمال ههنا اذ (الذين آمنوا) بالله وعرفوا انه المالك القوى
(ولم يلبسوا) أى ولم يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى بشرك من اعتقاد تأثير الغير وان كان سببا
(أولئك) الكاملون فى رتبة الايمان (لهم الأمن) من جانب الله لاعتنائه بهم ومن جانب
الشركاء لحفظه اياهم من تأثيرهم وكيف لا يعتنى بهم (وهم مهتدون) لاعمال واعتقادات
توجب الاعتناء بهم وأما المشرك فلا يقدر شريكه على دفع غضب الله عنهم ولا على شفاعته
عنده لمن لا يرتضيه (وتلك) أى الدلائل المشار اليها فى قوله أتتخذ أصناما آلهة الى ههنا
(حجتنا) التى لا يمكن الاعتراض عليها (آتيناها) بلا واسطة معلم من البشر (ابراهيم) ليغلب
وحده (على قومه) الكثيرين ولا يبعد ذلك اذ (نرفع درجات من نشاء) بالحجج فوق رفعها
بالسيف لانه انما يؤثر فى ظواهر البعض والحجج فى بواطن الكل وليست مشيئته على سبيل
التحكم بل على نهج الحكمة (ان ربك حكيم) يرفع درجة من استعد لرفعها لانه (عليم)
بالاستعدادات (ووهبنا له) أى لابراهيم مبالغة فى رفع درجاته (اسحق) من صلبه (ويعقوب)
من صلب ابنه ليكمل درجة والده فازداد كمال درجة جده لاختصاصهما بالهداية اذ (كلا
هدينا و) لم يلحقه نقص من جهة أبيه اذ (نوحا هدينا من قبل) من اجداده فلم يزل فضله مانعا
من لحوق نقص سائر آبائه به (و) لم نزل نرفع درجاته بعد ذلك اذ هدينا (من ذريته داود)
الجامع بين النبوة والحكمة والخلافة الكاملة بالتنصيص عليها (وسليمان) وارث كماله
المكمل له فهذان من أرباب الشكر (و) هدينا من أرباب الصبر (أيوب و) من أربابهما
(يوسف وموسى وهرون و) كما جزينا ابراهيم بالمبالغة فى رفع درجاته لاحسانه وهو ترجيحه

خناجر) جمع خنجرة وخنجور وهما رأس الغلصمة حيث تراه حديدا من خارج الحلق (حرور) ريح حارة تهب بالليل وقد تكون بالنهار والسموم تكون بالنهار وقد تكون بالليل (قوله عز وجل حافين من حول العرش) أى مطيفين بحفافيه أى بجانبيه ومنه حف به الناس أى صاروا فى جوانبه (قوله عز وجل

جانب الحق على ماسواه (كذلك نجزى المحسنين) بالمبالغة فى رفع درجاتهم (وزكريا) صاحب العبادات الكثيرة (ويحيى) صاحب العصمة (وعيسى والياس) اللاحقين بأفق الملائكة (كل من الصالحين) من أهل الولاية النبوية (واسمعيل) وعاء الكمال المحمدى ولذلك لم يذكره مع اسحق لانه من وجه فى معنى الاب (واليسع) اللاحق به فى كونه من الاخيار (ويونس) الذى قال فيه عليه السلام من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب (ولوطا) ذكره فى ذريته لكونه ابن أخيه فهو بمنزلة ابنه وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا الحديث الدال على شدة أمره بالهمة بالتأثير على المخالفين (وكلا فضلنا على العالمين) فلحق فضلهم بجدهم ابراهيم بواسطتهم (و) هدينا (من آبائهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم من جهتين (وذرياتهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم بواسطتهم (واخوانهم) فلحقهم الفضل من جهة الحاشية وابراهيم من جهة الذرية بالذات وجهة الحاشية بالواسطة (و) مع ماهديناهم بالحجج (اجتبيناهم) بالنبوة (وهديناهم) بالولاية النبوية (الى صراط مستقيم) فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال فجعلت لهم هذه الفضائل أيضا ولحقت ابراهيم فازداد ارتفاع درجاته (ذلك) الهدى الذى كان عليه هؤلاء هدى رهبان الكفرة (هدى الله) ولايختص بهم بل (يهدى به من يشاء من عباده) من اتباعهم وكيف يكون هدى الرهبان هدى الله (و) هؤلاء مع عظمتهم (لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) حال هداهم فكيف يبقى لهم الهدى معه وكيف يحصل لصاحبه ثم يحصل له بعض الخوارق استدراجا ولم يكن المذكورون من أهل الاستدراج لظهور كونهم من أهل الهداية اذ (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) المؤسس على قواعد الهداية التى يعرف كونها هداية بالنظر الى ذاتها (والحكم) على وفقه اذ لوخالفوه لظهر ضلالهم (و) مع ذلك آتيناهم (النبوة) ليصدق معجزاتها كتابهم وحكمهم ليقتدى بهم الناس (فان يكفر بها) أى بكتابهم وحكمهم ونبوتهم (هؤلاء) فلايدل ذلك على بطلانها (فقد وكلنا بها قوما) يبينون حقيتها و يرفعون شبهاتهم عن يقين حصل لهم اذ (ليسوا بها بكافرين) فلم يبق عليهم حجاب الكفر الساتر عن حقائقها والمظلم بايقاع الشبهات بل أدى بهم نور الايمان الى الكشف عنها وكيف لايمكن بيان حقيتها و رفع الشبهات عنها مع ان (أولئك) هم (الذين هدى الله) لاقامة الحجج ورفع الشبه وهم وان نسبوا هدى مشايخهم الى الكشف (فبهداهم اقتده) باعتبار سبق زمانهم لابهدى قدمائهم اذ لاحجة عليه وهؤلاء لهم مع كشفهم حجج فان زعموا أنهم انما لايقتدون بهم لانهم يلزمهم الاقتداء بك (قل لا أسئلكم عليه أجرا) من مال أوجاه أومدح ولا يلزمكم فيه دناءة (ان هو الا ذكرى) أى شرف وموعظة (للعالمين و) ان قالوا اذا أمرت باقتداء الانبياء السابقين فليس علينا الاقتداء بك بل عليك الاقتداء بنا قل انما أمرت بالاقتداء بالانبياء فى الاعتقادات لابكل من ينتسب اليهم من الجهال الكفار بهم فى الحقيقة بل بالله اذ (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه المقدار الذى يليق به من المعرفة على قدر الطاقة البشرية اذ لايمكن معرفته الا بما عرف به نفسه

حرث الآخرة) عمل الآخرة والحرث الزرع أيضا (قوله عز وجل حب الحصيد) أراد الحب الحصيد وهو مما أضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين (قوله عز وجل حمية) أنفة وغضب (قوله عز وجل حبل الوريد) هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف لفظى اسميه والوريد عرقان بين الاوداج وبين

وتعريفه انما هو بانزال الكتاب وهم ينكرون انزاله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) اذ لا يطيق البشر حمل كلامه قاله مالك بن الصيف حين أغضبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وأنت الحبر السمين (قل من أنزل الكتاب) أى التوراة (الذى) تعترفون بحقيته وتدعون الايمان به لكونه (جاء به موسى) صاحب المعجزات القاهرة أطاق تحمله عند ظهوره بصور الحروف والكلمات مع أنه لو لم يأت به موسى لم يمكن تكذيبه لكونه (نورا) يكشف الحقائق بالدلائل (وهدى) يرفع اللبس والشبهات (للناس) الذين غرز فى فطرتهم التمييز ورفع الشبهات لكنهم نسوا ذلك فلتذكرهم (تجعلونه قراطيس) أى دفاتر وكيف تنكرونها وأنتم (تبدونها و) لا يبعد منكم الانكار مع ذلك اذ (تخفون كثيرا) مما دل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (و) لكن لم يتم لكم اخفاؤها اذ (علم) من أسرار التوراة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فكيف تخفون عليه ما هو ظاهر التوراة فان سكتوا خوف التناقض (قل) منزل التوراة على البشر (الله) لزمهم التناقض (ثم) ان زعموا انا أردنا ما أنزل الله بعد موسى على بشر من شئ (ذرهم) لانهم (فى خوضهم) أى أباطيلهم (يلعبون) بلا دليل وكيف ينكرون انزال هذا الكتاب بعد موسى (وهذا كتاب) لغاية عظمته أولى أن يقال فيه (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) يشتمل على ما لا يتناهى من الفوائد فى ألفاظ يسيرة ولا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثله ولا مانع فيه من تكذيبه ما ثبت نزوله اذ هو (مصدق الذى بين يديه) أنزل تكميلا لما فيه (ولتنذر أم القرى) أى أهل مكة الذى يقصدها الناس لان الارض التى خلقوا منها دحيت من تحتها فهم يميلون اليها بالطبع وقد تأكد بالامر الالهى بالحج (و) لذلك كان انذارها انذار (من حولها) من أطراف الارض ولا يضر انكار بعضهم له لانهم لا ينكرونه لنقص فيه بل لعدم ايمانهم بالآخرة اذ يزعمون أنه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (والذين يؤمنون) منهم (بالآخرة يؤمنون به و) لايمانهم بها (هم على صلاتهم يحافظون) وغيرهم وان صلوا احيانا فلا يحافظون عليها وهو يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة وانما يدعون الايمان بكتابهم تحصيلا للجاه والرئاسة وهو وان كان ظلما فلا يبعد ممن لا يؤمن بالقرآن فانه أظلم لانه اما يهودى يحرف التوراة لفظا أو معنى فيفترى على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) لانه يجعل قوله قول الله (أو) غيره فان ادعى النبوة كذبا كمسيلمة من بنى حنيفة اذ (قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) فهذا يزيد على الافتراء فى دعوى النبوة (ومن) ينكر اعجاز القرآن حتى (قال سأنزل مثل ما أنزل الله) مع انه قد عرف اعجازه فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله فكأنه ادعى الالهية لنفسه ولا يجترئ على هذه الوجوه من الظلم من يؤمن بالآخرة فيعلم ما للظالمين فيها (ولو ترى) أيها الرائى (اذ الظالمون) وان لم يكونوا أظلم (فى غمرات) أى سكرات (الموت) قبل البرزخ والقيامة وما فيهما من النار وسائر وجوه العذاب لثقل عليك الامر فكيف يكون على صاحبه (والملائكة باسطوا أيديهم)

اللبنتين تزعم العرب أنهما من الوتين والوتين عرق مستبطن الصلب أبيض غليظ كأنه قصبة معلق بالقلب يشقى كل عرق فى الانسان ويقال لمعاق القلب من الوتين النياط ويسمى نياطا لتعلقه بالقلب وتسمى الوريد وريدا لان الروح ترده (قوله عز وجل حق اليقين) كقولك عين اليقين ومحض اليقين (قوله تعالى حاذ الله) وشاق

كالمتقاضي الملظ وهو شدة مع شدة السكرات وقولهم (أخرجوا أنفسكم) تغليظا وتعنيفا شدة أخرى وغاية شدائده عنده قولهم (اليوم) قبل البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون) أي المتضمن للمهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كالتحريف ودعوى النبوة الكاذبة وهو جراءة على الله متضمنة للاستهانة به (وكنتم) في اعراضكم (عن) رؤية اعجاز (آياته تستكبرون) حتى قال بعضكم سأنزل مثل ما أنزل الله وأقل ذلك أنه يسلب منكم الاستكبار وأسبابه اذ يقال (و) الله (لقد جئتمونا) فلا يبقى لكم استكبار عند وصولكم الى من له الكبرياء المطلقة وحلف على ذلك تنزيلا لهم منزلة المتكبرين لسبق انكارهم كأنهم مستمرون عليه ولم يبق لكم ما يكون لمقربي الملوك عند الوصول اليهم من كثرة الاتباع لكونكم (فرادى) ليس معكم من يتبعكم اذ هو مقتضى الاعادة لتعودوا (كما خلقناكم أول مرة) فلا يبقى لكم الجاه الذي هو من أسباب الاستكبار (و) لا ما هو منشؤه وهو المال أو الحرفة اذ (تركتم ما خولناكم) أي فضلنا كم به فلم تجعلوه معكم ولا قدمتموه لتجدوه عندنا بل جعلتموه (وراء ظهوركم و) كما لم يبق لكم الجاه ومبدؤه من جهة أنفسكم لم يبق لكم من جهة متبوعكم اذ (ما نرى معكم شفعاءكم الذين) اعتقدتم شفاعتهم على تقدير البعث وطول مدة العذاب وهم الانبياء أو الملائكة أو الاصنام وكيف يكونون شفعاء عندنا وقد (زعمتم انهم) مع دخولهم (فيكم) أيها الحوادث (شركاء) والشرك من أسباب العداوة وهم وان لم يعادونا عادوكم والله (لقد تقطع) الوصل (بينكم و) لو لم يتقطع ما كانوا يشفعون لكم لانه (ضل) أي ضاع فبعد (عنكم ما كنتم تزعمون) من انهم شفعاؤكم على كل ما يصدر منكم من شرك أو انكار لليوم الآخر أو نبوة نبي وكيف أنكرتم اليوم الآخر وقد ظهر من دلائله ما أشار اليه قوله عز وجل (ان الله فالق) اي شاق (الحب) بالنبات (والنوى) بالشجر والنبات والشجر حيان والحب والنوى ميتان فهو (يخرج الحي من الميت) اما من كله كالحب أو جزئه كعجب الذنب الذي هو كنوى التمر (و) بالعكس (مخرج الميت) كالبيض (من الحي) كالطير لم يعطفه على يخرج لانه بيان لفالق ولا يصلح هذا للبيانية فعطفه عليه (ذلكم) الفالق هو (الله) لا الطبيعة ولا الماء والهواء (فأنى) أي فكيف (تؤفكون) أي تصرفون عنه الى الطبيعة وغيرها فى البعث اذ ليس للانسان هذه الطبيعة والا لم يزل ينبت ولا حاجة في الاحياء الى الشق بل هو اثارة الروح كفلق الاصباح والله تعالى (فالق الاصباح) وتركه ميتا مدة معلومة كالسكون بالليل (و) الله تعالى (جعل الليل سكنا و) لا يستبعد ذلك بطول مدة السكون لانه تعالى جعل (الشمس والقمر) سائرين سيرا يحسب (حسبانا) فكذا جعل القيامة حسبانا يعلمه هو ولا يطلع عليه المنجمون وكيف لا يكون كذلك مع ان (ذلك تقدير العزيز) أي الغالب على أمره فلا يفعل ما يفعل بطريق الايجاب وان راعى فيه الحكمة لانه تقدير (العليم) وقد علم الحكمة في البعث (و) كيف ينكر النبوة التي هي أصل الهداية الى ذلك اذ (هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في) حال (ظلمات) أي ضلالات طرق

الله أي عادى الله وخالفه ويقال المحادة الممانعة (حاجة) فقر ومحنة أيضا (قوله عز وجل حبير) كابل مى (قوله عز وجل حرد) غضب وحقد وحرد قصد وحرد منع من قولك حاردت الناقة اذا لم يكن بها لبن وحاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر (قوله عز وجل الحاقة) يعني القيامة سميت بذلك لان فيها حواق الامور أي صحائح

obeikandl.com

(البر والبحر) فبكيف لا يجعل الانبياء هداة طرق المعاش والمعاد التي الضلال فيها أعظم (قد فصلنا) أي بينا فصلا (الآيات) على قدرة الله وحكمته واليوم الآخر والنبوة (لقوم يعلمون) وجه الاستدلال بها وانما خلقت للاستدلال وكيف تكذبون الانبياء اذا أخبروكم ان الله يعيد كل واحد منكم من بدنه أو جزئه (و) ليس بأبعد من ابتداء خلقكم اذ (هو الذي أنشأكم من نفس واحدة) ولا يستبعد اختلاف مدة اللبث في القبر فانه كاختلاف مدة الحياة الدنيوية (فمستقر ومستودع) أي فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستقر في أقرب مدة كأنه مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكره لان انشاءهم من نفس واحدة أمر دقيق يحتاج الى استعمال فطنه ثم قربه بمثال وهو اخراج الانواع المختلفة من أصل واحد فلا يبعد اخراج اشخاص كثيرة من نوع من نفس واحدة فقال (وهو الذي أنزل من السماء) التي يكون الفيض بواسطتها دون الفيض بدون واسطة في الجملة (ماء) واحدا بالنوع (فأخرجنا به) لم يقل فأخرج به لئلا يتوهم انه أخرج السماء بواسطة الماء (نبات كل شئ) أي كل نوع من أنواع النامي فان قيل اختلفت الانواع لاختلاف الاصول قلنا تلك أصول بعيدة والقريب متحد لانا أنزلنا الماء (فأخرجنا منه) أي من كل شئ (خضرا) ثم نخرج منه ما يعود الى الاصل أو يتضمنه فان كان حبا (نخرج منه) أي من ذلك الخضر (حبا) واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير اذ يصير (متراكبا) أي متراكما بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وان كان نوى نجعل خضرة النخل مثلا (و) يحصل (من النخل) طلع يتضمن النوى واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير مما يتضمنه اذ يكون (من طلعها) أي من ثمرها (قنوان) أي عروق (دانية) أي ملتفة يقرب بعضها من بعض (و) لا يختص هذا بفروع تخالف الاصول بل قد أخرجنا (جنات من) لحاء (أعناب و) أخرجنا من أغصان الزيتون والرمان (الزيتون والرمان) شجرهما (مشتبها) لاصولهما (و) ليس ذلك الاصل بعينه لكونه (غير متشابه) أي ملتبس كيف ولا يتشابه أحوال الشئ الواحد (انظروا الى ثمره) كيف يكون طعمه ولونه (اذا أثمر و) الى (ينعه) أي نضجه كيف يكون طعمه ولونه حينئذ (ان في ذلكم) أيها البصراء (لآيات) على امكان انشائكم من نفوسكم وأبدانكم وعلى البعث بانزال المطر من العرش ثم انبات الاجساد كالنبات ثم جعلها خضرة بالحياة ثم تصوير الاعمال بصور كثيرة وافادة أمور زائدة وتفريعها واعطاء أطعمة مشتبهة في الصورة غير متشابهة في اللذة جزاء عليها (لقوم يؤمنون) باختصاص الله بالتأثير دون الاسباب وبانه فاعل مختار قادر على كل شئ وباليوم الآخر بهذه الدلائل المقنعة المؤيدة بالدلائل القطعية من النقل المتواتر عن الانبياء عليهم السلام (و) هؤلاء نفوا عموم القدرة لينفوا قدرته على الاعادة وزادوا على اعتبار تأثير الاسباب والقول بالايجاد اذ (جعلوا لله شركاء الجن) أي جعلوا الجن الذين هم دون الملائكة والانس شركاء الله حتى عبدوا الاصنام لتعلقها بها (و) قد علموا أنها حادثة اذ

(خلقهم

الامور (قوله عز وجل الحافرة) الرجوع الى أول الامر يقال رجع فلان في حافرته وعلى حافرته اذا رجع من حيث جاء وقوله عز وجل أءنا لمردودون في الحافرة أي نعود بعد الموت احياء (قوله عز وجل حدائق غلبا) بساتين نخل غلاظ الاعناق (قوله عز وجل حمالة الحطب) هي امرأة أبي لهب كانت تمشي بالنمائم وحمل الحطب

(خلقهم و) قد جعلوا الله كسائر الخلق بل دون المبدعات اذ جعلوه كالحيوانات والنباتات حتى (خرقوا) أى شقوا اذا نه ليخرجوا (له بنين و) لم يقتصروا عليهم بل زادوا نقصا حتى أثبتوا له (بنات) ولا شبهة لهم فى ذلك سمع أنه لا يجوز أن يعتقد فيه (بغير علم سبحانه) أى تنزه تنزيها الذى لا يكون لغيره كيف (و) قد (تعالى) عن الكل فبعد (عما يصفون) من أوصاف الحوادث الخسيسة من المشاركة والتوليد وكيف يكون له ولد وهو من خواص الاجسام القابلة للكون والفساد التى دون الاجسام المبدعة وهو فوق المبدعات اذ هو (بديع) أى مبدع (السموات والارض) ثم ان سلم أنه لا يختص بها (أنى يكون له ولد) ولا يحصل الا بين متجانسين (و) لا مجانس له لذلك (لم تكن له صاحبة) مع انها لا يصح كونها قديمة لنقصها بالانوثة ولا حادثة اذ لا يجانسه الحوادث (و) ان سلم أنه له صاحبة قديمة مجانسة فكيف يجانسه الولد وهو حادث فهو مخلوق له لامتناع حدوث شئ بدونه فثبت انه (خلق كل شئ) فلو جاز أن يكون أحد المخلوقات ولدا له جاز فى الكل (و) ان سلم تخصيصه البعض بالولدية فلا بد أن يتصف بصفاته ومنها عموم العلم لكن (هو بكل شئ عليم) لا غير فلو اتصف به الولد لكان محيطا بالوالد عالما لكن جلاله يأبى أن يصير محاطا لمن دونه ثم أشار الى ان الشرك ونسبة الولد الى الله ينافى الايمان به اذ (ذلكم) البعيد رتبته عن مراتب من يشارك أو ينسب اليه الولادة اذ هو (الله) يجب الايمان به لانه (ربكم) لا رب لكم سواه لانه (لا اله الا هو) فهو الذى خلقكم وخلق النعم التى ربا كم بها اذ هو (خالق كل شئ) وانما ربا كم بها لتعبدوه (فاعبدوه و) لا عبادة الا بالايمان به وحده اذ لا يستحقها غيره بانعامه عليكم ولو وكالة عنه اذ (هو على كل شئ وكيل) أى متول بحفظه وتدبيره غالب عليه لا أثر لغيره وان كان سببا ولكنه ينسب اليه لانه مدرك بالابصار والله تعالى (لا تدركه) قبل كشف الحجب (الابصار) فلا ينسب اليه الامور ولكن يجب أن ينسب اليه لان الغير لا يدرك دقائق الاشياء والفعل الاختيارى فرع الادراك (وهو يدرك) الدقائق حتى (الابصار و) لا يدل عدم ادراك الابصار اياه على عدمه بل خفائه اذ (هو اللطيف) وللطفه هو المدرك فهو (الخبير) فهو كالروح الذى لا يدركه الابصار وهو يدرك الكل فينسب اليه أفعال الانسان لا الى شئ آخر منه ثم أشار الى أن عدم ادراك الابصار اياه ليس بعذر فى نسبة الافعال الى الغير المدرك بالابصار حتى يجعله مستحقا للعبادة لانه (قد جاءكم) بدل الابصار الظاهرة (بصائر) باطنة هى أقوى من الابصار الظاهرة لكونها (من ربكم) بدليل اعجازها وليست لجر نفع لنفسه أو دفع ضر عنها حتى يتهم فيها بل ذلك فى حق أنفسكم (فمن أبصر فلنفسه) يصل به الى ربه والى ما يشتهيه عنه (ومن عمى فعليها) اذ يحجب عن ربه ويحال بينه وبين ما يشتهيه (و) انى وان بعثت لجر منافعكم ودفع مضاركم (ما أنا عليكم بحفيظ) لهما عليكم بل هو مفوض الى اختياركم (و) كما صرفنا الآيات فى هذا الموضع (كذلك نصرف الآيات) أى نوردها على وجوه كثيرة فى سائر المواضع لتكمل الحجة على المخالفين (وليقولوا) فى ردها ما يقوم بها وهو قولهم (دارست) اليهود

كناية عن النمائم لانهم اتوقع بين الناس الشر ونشعل بينهم النيران كالحطب الذى يذكى به النار ويقال انها كانت موسرة وكانت افرط بخلها تحمل الحطب على ظهرها فنهى الله هذا القبيح من فعلها ويقال انها كانت تقطع الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك والحطب معفى به الشوك

فتعلمت منهم فهذا وان كان طعنا فى رسالته دليل صدقها فى نفسها وقد رفع اعجازها مطاعنهم (و) كيف يكون من مدارستهم وقد فصلنا فيه ما أجمل فى كتبهم (لنبينه) أى ما درسوه (لقوم يعلمون) ما فى كتبهم من الاجمال وما فيه من التفصيل وأنت وان لم تكن حفيظا عليهم وهم وان دام عماهم لاتترك تبليغ الرسالة اليهم بل (اتبع ما أوحى اليك) من تبليغ الرسالة التى هى الآيات المصرفة مبالغة فى الزام الحجة مع افادة البصائر والبيان التام لما أجمل فى كتب الاولين مما يدل على أنها (من ربك) الذى رباك تربية لاتتأتى من غيره لاختصاصها بمن له رتبة الالهية التى لامشارك فيها اذ (لا اله الا هو و) اذا أصروا مع ذلك على الشرك من عماهم فلا تحزن عليهم بل (أعرض عن المشركين) اذ أراد الله بقاءهم على الشرك والعمى مع هذه البصائر لاقتضاء استعدادهم ذلك (و) ان لم يكن موجبا اذ (لو شاء الله) مع هذا الاستعداد (ما أشركوا) ولكن جرت سنته برعاية الاستعدادات (و) هم وان كان لهم الاستعداد للايمان فى فطرتهم وقد أبطلوه فأنت وان كنت داعيا الى اصلاح الاستعداد الفطرى (ما جعلناك) متوليا (عليهم) لتكون (حفيظا) لمصالحهم حتى تكون مصلحا لاستعدادهم الفطرى (وما أنت عليهم) بنفسك (بوكيل) تدبر عليهم امورهم أو تغيرهم من استعدادهم الى آخر بل هو مفوض الى الله تعالى يفعل بهم بمقتضى استعدادهم الطبيعى لهم من غير تغيير له بل هو مفوض الى اختيارهم (و) كيف يكون لك تغيير استعدادهم وغاية ما تقدر عليه تقبيح اعمالهم لكنهم يزدادون بذلك قبحا لذلك (لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وان علموا ان سبهم لايقابل بسب الله لكنهم لعداوتهم يعدون على الله فيسبونه (عدوا بغير علم) منهم بقبح هذه المقابلة اذ زينت لهم ولا يبعد لانه كما زينا لهم هذا القبيح بمقتضى استعدادهم (كذلك زينا لكل امة) من السراق وقطاع الطريق والزناة وغيرهم (عملهم) وان رأوا ما فيها من قطع الاطراف والرجم وليس فى سبهم الله مع انعامه عليهم اهمال لهم بل امهال ليزدادوا اثما مع توالى النعم عليهم (ثم الى ربهم) الذى رباهم بانعامه مع سبهم اياه (مرجعهم) وليس للعبث (فينبئهم بما كانوا يعملون) قولا وفعلا بصرف نعمه الى معاصيه وسب المنعم من أجل من لايتصور منه انعام أصلا (و) كأنهم زعموا ان كفرهم الذى بلغوا منه الى سب الله تعالى ليس من سوء استعدادهم بل لعدم مجيء آية اقترحوها حق (اقسموا بالله جهد ايمانهم) اى اوثقها الذى بذلوا فى توثيقه طاقتهم (لئن جاءتهم آية) من الآيات المقترحة لهم (ليؤمنن بها قل) انما يصح اقتراح الآيات على لو كانت مفوضة الى آتى بها عن اختيارى لكن لادلالة فيها اذ على تصديق القائل (انما الآيات عند الله) وانما ينزلها بسؤالى لو علم انكم تؤمنون بها أو اراد تعجيل أخذكم لكن لايعجل أخذ امتى وقد علم انكم لاتؤمنون (وما يشعركم أيها السامعون (انها اذا جاءت) يؤمنون بها برا لقسمهم وانما يخبر من يؤمن وهؤلاء (لايؤمنون) وكيف يؤمنون لرؤية الآية المقترحة (ونقلب افئدتهم) العازمة على

فى هذا الجواب

(باب الحاء المضمومة)

(قوله عز وجل حدود الله) أى ما حده الله لكم والحد النهاية التى اذا بلغها المحدود له امتنع (قوله عز وجل حوبا كبيرا) أى اثما كبيرا ومعناه اثما عظيما الحوب بالضم الاسم وبالفتح المصدر (حكم) وحكمة مثل ذل وذلة وخبر وخبرة وقل وقلة وعذر وعذرة وبغض

obeikandl.com

الايمان بتأكيدهم القسم بانه انما نخاف من الجزاء عليه لو ثبت الجزاء (وابصارهم) بأن هذه الآية لا تعظم بل هى كالاولى التى لم يؤمنوا بها فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) أى بمثلها مع وقوعه (اول مرة) لما يتوهم فيها تقرر عادة جديدة خارقة للسابقة (و) لا بد لهم من هذا التوهم لانا (نذرهم فى طغيانهم) على الآيات بايراد الشبهات عليها (يعمهون) اى يترددون لها مع جزم عقولهم بعدم وقوعها لتركنا اياهم فى طغيانهم يعمهون (و) لو جمعنا عليهم الآيات القاهرة المقترحة المصرحة بالتصديق عليها حتى (لو اننا نزلنا اليهم الملائكة) شهودا على صدقك (وكلمهم الموتى) بذلك وباحوال الآخرة التى لا ينكر اطلاعهم عليها (وحشرنا عليهم كل شئ) من الحيوانات والنباتات والجمادات (قبلا) أى كفلاء بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) بمجموع هذه الآيات القاهرة فى حال من الاحوال (الا) فى حال (ان يشاء الله) منهم الايمان على خلاف مقتضى استعدادهم وقد جرت سنته بعدم مخالفته (ولكن أكثرهم يجهلون) يتوهمون انها تتعلق بالاشياء بلا اعتبار استعداداتها فيجعلون العبد مجبورا فى افعاله فلا وجه لتعذيبه عليها فيجترؤن على الكفر والمعاصى مع انه يجوز ان يكون تعلقها بالتعذيب كذلك والافعال علامته لا سببه وان سمى جزاء تشبيها للعلامة بالسبب وكيف يتوهمون الجبر فى كفرهم مع ظهور استعداده من عداوتهم المانعة من الانقياد للآيات القاهرة الداعية الى القاء الشبهات فيها وفى الآيات المقترحة لو أتى بها بالاحاطة بابواب السحر أو بتقرر عادة جديدة مع جزم العقل بعدم الاحتمالين فى الواقع وان جاز وجودهما بمعنى انه لا يلزم فيه محال وهو أيضا من فعلنا بمقتضى استعداد النبوة فجرت بذلك سنتنا (و) لذلك كما جعلنا هؤلاء من شياطين الانس بالقاء الشبهات ظاهرا وشياطينهم من الجن الملقين اليها باطنا أعداء للنبى يدون دفع أمرك بها (كذلك جعلنا لكل نبى عدوا) ليظهر بمجادلتهم حججه وترتفع شبهاتهم ولئلا يقال انه شخص ساعده الكل ليأكلوا أموال الناس أو يتواسوا عليهم أو انه ينزل عليه الشياطين لجعلنا (شياطين الانس والجن) اعداء ولا يمنع ذلك من ظهوره اذ غايتهم انه (يوحى بعضهم الى بعض زخرف) أى مموه (القول غرورا) للضعفاء لان الله تعالى جعلهم أهل الحجاب وكذا الغامرين ليقهرهم بمقتضى استعدادهم (ولو شاء ربك) ان لا يقهرهم مع اقتضاء استعدادهم اياه (ما فعلوه) وان كان مقتضى استعدادهم لانه من علامات القهر فلو لم يرد قهرهم لم يظهر عليهم علامته (فذرهم وما يفترون) على الله تعالى من انه جبر عليهم بالكفر من غير استعدادهم ليغتروا بذلك ولا يتموا التفصى عن وجه الغرور (ولتصغى اليه) أى الى مزخرفهم (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لمساعدته اهم على اهوائهم (وليرضوه) رضا المؤمنين بالآخرة بالدلائل القطعيات اذ تسقط عنهم التكاليف الشاقة (وليقترفوا) أى وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من شبهات اخر من ذلك المزخرف ومن الجراءة على الكفر والمعاصى وان انكروا كونه مزخرفا أو طلبوا فيه التحكم

ربغضة وقروقرة (حرم) واحدهم حرام (قوله تعالى حسبان) أى حساب ويقال هو جمع حساب مثل شهاب وشهبان (وقوله تعالى ويرسل عليها حسبانا من السماء) يعنى مرامى واحدها حسبانة (وقوله عزوجل حقبا) أى دهرا ويقال الحقب ثمانون سنة (قوله الحبك) الطرائق التى تكون فى السماء من آثار الغيم

obeikandl.com

الى نقادهم قل (أ) أتحكم الى نقادكم فيما بين الله لى انه من خرف (فغير الله ابتغى حكما) ليحكم نقيادكم عليه (و) لم يترك لى ولا لكم ريبة فى كلامه اذ (هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا) فيه الحقائق والاحكام مع دلائلها ورفع الشبه عنها (و) ان شككت فى انزاله مع اعجازه فانظر الى ماشهد الله عز وجل فى كتب الاولين وراجع اهلها اذ (الذين آتيناهم الكتاب يعلمون) من وعد الله فيه بانزاله (انه منزل من ربك) وليس فيه ماير يبهم لكونه ملتبسا (بالحق) فى نفسه فاذا اجتمعت فيه هذه الامور (فلا تكونن من الممترين) حتى تحتاج فيه الى التحكم (و) كيف يكون منزلا من غيره وقد (تمت) فيه (كلمت ربك) الذى انزلها فى كتب الاولين بمزيد التفصيل والاستدلال ورفع الشبه (صدقا) فى الاعتقادات والاخبار (وعدلا) فى الاحكام وان نسخ بعض مافى كتب الاولين نقدراعى فيه من الاعتدال بحيث (لامبدل لكلماته) من تلك الجهة ولا من جهة الصدق والاعجاز (و) لو فرض مبدل فى طريق الوصول اليك فلا يترك بحاله اذ (هو السميع) لما يلقيه المبدل (العليم) بما يدفعه من اول الامر فلا يمكنه ثم أشار الى انه لا وجه للتحكم فى كلمات الله التى تمت صدقا وعدلا بحيث لامبدل لها الى من اغرق فكره فى الامور الارضية وان كثر فقال (وان تطع اكثر من) اغرق فكره (فى الارض) فانهم وان ضلوا لانفسهم واتباعهم الاموال والجاه (يضلوك عن سبيل الله) الذى هو اتباع البراهين القاطعة من العقل المؤيد بالنقل اذ لايدركونها (ان يتبعون) فى الامور الالهية (الا الظن) فيتخذون الشياطين اذا ظهر شئ من آثارهم آلهة (وان هم) فى باب الاحكام (الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين الوهمى بجعلهم علة حل الحيوانات قتل الله اياها وقتضاها عدم حل ماقتلوه وهو خلاف ماهم عليه ولكن لاشعورلهم بذلك ولا يبالى مع قول الله لقولهم كيف يترك قول الجمهور للواحد (ان ربك هو أعلم) من الجمهور فعلم (من) لايزال (يضل عن سبيله) وان كثر واقنع اتباعهم (وهو أعلم بالمهتدين) اى المستمرين على الهداية وان قلوا فاذا امرباتباعهم واذا منعتم اقتداء الضالين فلا تعتبروا بتعليلهم الحل بقتل الله حتى تحرموا بمقتضاها ماذبحتموه واذا امرتم باقتداء المهتدين فاعتبروا بتعليلهم الحل بذكر اسم الله عند الذبح (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) عند ذبحه لرفعه تخبيس الموت اياه المانع من الاكل ولا تحتاجون الى معرفة هذا السر بل يكفيكم اقتداء من عرفتم هدايته بظهور الآيات (ان كنتم بآياته مؤمنين ومالكم) أى أى شئ عرض لكم من قطع أو ظن من تعليلهم الحل بقتل الله فصار دليل (ان لاتأكلوا مماذكر اسم الله عليه وقد) علم الغاء الشارع هذه العلة بالنص اذ (فصل لكم) جميع (ماحرم عليكم) فى جميع الاوقات (الا) وقت (ما اضطررتم) أى اضطراركم (اليه) فصار حصرا تاما يوجب الغاء مالم يدخل فيه وكيف تأخذون باعتبار العامة (وان كثيرا ليضلون) فى التعليل اذ يأخذونه (باهوائهم) من غير ان ينظروا الى وجه كونه علة لانهم يأخذونه (بغير علم) يوجب اعتبار ذلك التعليل اذ لم يلغ واحده (ان ربك هو

اعلم

احـ رها حبيكة وحبالك
الحبك أيضا الطرائق التى
راها فى الماء القائم اذا
مرته الريح وكذلك
حبك الرمل الطرائق التى
راها فيه اذا هبت عليه
الريح ويقال شعره
حبك اذا كان متكسرا
جعود نه طرائق (قوله
عز وجل طعاما) فتانا
والطعام ماتطعم من

أعلم بالمعتدين و) الاعتداء كما يحصل بالقبح الظاهر الذى يستقبحه العامة يحصل بالقبح الباطن الذى لا يعرفه العامة بدون تعريف الشرع (ذروا ظاهر الاثم وباطنه) كأكل ما مات حتف انفه أو ذبح على النصب (ان الذين يكسبون الاثم) فانه وان لم يظهر لهم قبحه (سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكتسبون من الهيئة الذميمة الموجبة للعذاب ظاهرا او باطنا عند انكشاف الحجاب عنها (ولا تأكلوا) شيأ (مما لم يذكر اسم الله عليه) عند ذبحه تحقيقا ولا تقديرا كالمؤمن المتعمد تركه لقيام ايمانه مقام ذكره على انه ذاكر بقلبه فهو أولى من الناسى الذى لو يذكر لذكر مع غفلة قلبه عن اسم الله بالكلية (وانه) وان لم يظهر اثمه عندكم (لفسق) أى خروج عن الحسن الى القبح بتناول ما تحجر بالموت بلا مانع عن تأثيره (وان الشياطين ليوحون) أى يوسوسون بما يلقون (الى أوليائهم) بان ذكر اسم الله لو كان مبيحا لكفى ذكره عند الاكل (ليجادلوكم) على الغاء تعليل الحل بذكر اسم الله عند الذبح وهى مجادلة باطلة لان المقارن مانع للتأثير بخلاف المتأخر عن التأثير فانه لا يرفعه بعد استقراره (وان اطعتموهم) فى تحليل ما حرم الله أو تحريم ما احل (انكم لمشركون) اياهم مع الله فيما يختص به من التحليل والتحريم وليس اطاعة الرسول فى ذلك كاطاعتهم (أ) ترون اطاعة من كوشف عن حكم الله كاطاعة المحجوب (و) ترون (من كان ميتا) بالجهل (فاحييناه) بالعلم من غير تعلم من البشر (وجعلنا له نورا) من الكشف النبوى يكشف عن الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاحكام الحكمية بحيث (يمشى به فى) كل (الناس) لا يمكنهم ان يعترضوا عليه (كمن مثله) اى صفته الغرق (فى) بحر (الظلمات) ظلمة الجهل والحجاب والعناد (ليس بخارج منها) بالارشاد وابصار الصراط المستقيم اذ زين له ذلك وزين لاهل الحجاب اتباع مثله ولا عجب اذ (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) من القبائح التى زينها لهم كبراؤهم بالتلبيس عليهم (و) كما جعلنا بمكة كبراء قريش ليمكروا على اتباعهم فى تزيين الباطل وستر الحق (كذلك جعلنا فى كل قرية) ارسلنا اليها الرسل (اكابر مجرميها ليمكروا فيها) على اتباعهم بالتلبيس ليتركوا متابعة الرسل وقصدوا بذلك اضرارهم (وما يضرون بمكرهم الا أنفسهم وكأنهم ما (يمكرون الا بانفسهم و) هم وان كانوا حذاقا بمكرهم (ما يشعرون) بما يعود الى انفسهم التى هى أقرب اليهم من كل شئ وهو دليل كونهم فى الظلمات غير خارجين منها (و) من مكرهم العائد الى انفسهم مع عدم شعورهم به وان قرب من الاوليات انهم (اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى) من الوحى والمعجزات المصدقة له (مثل ما اوتى رسل الله) بل نحن أولى منهم لشرفنا فقال عز وجل (الله اعلم حيث) اى بالمكان الذى (يجعل) فيه (رسالته) وهو الشرفاء بالفضائل النفسية بحيث لا يدرك غاية فضائلهم سواه دون شرفاء المال والجاه سيما اذا اتصفوا برذيلة الكبر والمكر بتلبيس احد الشرفين بالآخر (سيصيب الذين أجرموا صغار) بكبرهم (عند الله) الذى نازعوه فى كبره لرد آياته ورسالته واعترضوا عليه فى تخصيصه بالرسالة غيرهم (وعذاب شديد بما

عيدان الزرع اذا يبس (حور عين) جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين فى شدة سوادها (قوله تعالى حسوما) تباعا متوالية واشتقاقه من حسم الداء وهو أن يتابع عليه بالمكواة حتى يبرأ فجعل مثلا فيما يتابع ويقال حسوما نحوسا أى شؤما (قوله تعالى حنفاء) جمع

obeikandl.com

كانوا يمكرون) اضرارا بالانبياء فلم يضر سواهم بهذا العذاب الشديد وأما غيرهم (فمن يرد
الله ان يهديه يشرح) أي يوسع (صدره) بتنفسه له بنور الهداية فيتسع اتساع المرآة
لظهور السموات ومادونها (للاسلام) اى لانطباع عقائده فيظهر لهم هذا المكر الذى
هو أوهن من بيت العنكبوت (ومن يرد ان يضله) فلا يؤثر فيه مثل هذا المكر مع بقاء
قلبه بحاله بل لا بد من تغليب الرين عليه ومن يغلب على صدره (يجعل صدره ضيقا) لا يتسع
للاعتقادات الصائبة فى الله والامور الاخروية وهو وان اتسع للامور الدنيوية فلا يتسع
للاعتقادات الالهية والامور الاخروية لكونه (حرجا) شديد الضيق بالنظر اليها وذلك
لكونها مانعة من الشهوات التى اتسع لها فيثقل عليها تركها (كأنما يصعد) أى يتكلف
الصعود (فى) جهة (السماء) وطبعه يهبط الى الارض فذلك لوقوع رجس الشهوات عليهم
(كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) فى الاعتقادات والاخلاق وكيف لا يضيق
صدورهم عن هذا الدين (وهذا) الدين (صراط ربك) فلا يكون سهلا مع كونه (مستقيما)
لا ميل فيه الى افراط وتفريط فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال فلا عرض له فتضيق
القلوب بسلوكه الا ان ينشرح بنور الله (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) ثم أشار الى
فائدة سلوك هذا الصراط مع ما فيه من هذا الضيق فقال (لهم) أى لاهل هذا الصراط
لا لغيرهم (دار السلام) أى السلامة عن كل دناءة لكونهم فى مقام القرب (عند ربهم)
بسلوك صراطه الذى سلوا به عن رذيلتى الافراط والتفريط (وهو وليهم) فى امرارهم
على صراط الآخرة للوصول الى دار السلام (بما كانوا يعملون) لسلوك صراطه
فى الدنيا ثم أشار الى ضرر رجس الشهوات التى هى أصل المكر فقال (و) نقول (يوم
نحشرهم) اى الماكرين والممكورين (جميعا) ليسمع بعضهم كلام البعض وما يخاطب به
(يا معشر الجن) خصهم بالنداء لانهم الاصل فى المكر (قد استكثرتم) اى استتبعتم بالمكر
كثيرا (من الانس) الذين أنتم اعداؤهم عداوة ظاهرة (وقال أولياؤهم) أى مطيعوهم (من
الانس ربنا) أى يا من ربانا بالشهوات الحاضرة انها أصل المكر اذ بها (استمتع بعضنا ببعض)
بعضنا بايثار الشهوات الحاضرة على اللذات الغائبة ويسروا لنا فيها امورا شاقة اعتقدنا
بذلك الهيتهم فاستمتع كل واحد بالآخر (و) لم يكن المانع من الاستمتاع حاضرا اذ لم يعاقبنا
فى الحال بل اجلت لنا أجلا لنتدبر فيه ونتوب فلم نتدبر ولم نتب فلم نزل مكبين حتى (بلغنا
اجلنا الذى اجلت لنا) للمعاقبة (قال) اذا بلغتم أجل المعاقبة بلا توبة (النار) الحائلة
بينكم وبين ما تشتهون (مثواكم) أى منزلكم الجامع بينكم ليزداد تألمكم بالاجتماع
كما ازداد تنعمكم به (خالدين فيها) كما قدر لكم امانيكم الخلود فى الشهوات فلم تنظروا
فى عواقبها (الا) وقت (ما شاء الله) ان ينقلكم منها الى الزمهرير انتقالكم من شهوة
الى اخرى (ان ربك حكيم) يعاقب على كل شهوة بما يناسبها (عليم) بتلك المناسبات
(و) لا يختص هذا بالجن والانس بل (كذلك نولى) أى نقرن (بعض الظالمين بعضا)

حنيف وقد مر تفسيره
(قوله تعالى حطمة) هى
النار سميت بذلك لانها
تحطم كل شئ تكسره وتأتى
عليه ويقال للرجل
الاكول انه لحطمة
والحطمة السنة الشديدة
أيضا

(باب الحاء المكسورة)

(قوله عز وجل حين) أى
غاية ووقت وزمان غير

سواء

سواء كانا من جنس أو جنسين فى النار ليزدادوا عذابا بالمقارنة (بما كانوا يكسبون) من مزيد المعاصى بالمقارنة (يامعشر الجن والانس) كيف اغتررتم بمكر الاستتباع بعد ما بينه الرسل (ألم يأتكم رسل منكم) تعرفون صدقهم ونصحهم (يقصون عليكم آياتى) الموجبة لموالاتى المانعة من استتباعكم (وينذرونكم) على ترك موالاتى وعلى استتباعكم (لقاء يومكم هذا قالوا) قصوا وانذروا (شهدنا) بذلك (على أنفسنا) ولكن صعب علينا تركها لتنجزها وتأخر عاقبتها (وغرتهم الحيوة الدنيا) الحاجبة عن عواقبها حتى أنكروا الآخرة (وشهدوا على انفسهم) بعد شهادة جوارحهم (انهم كانوا كافرين) بها (ذلك) التخاطب لاجل (ان لم يكن ربك مهلك) أهل (القرى) بالتخليد فى النار (بظلم) ولو فى زعمهم ولذلك لم يعذب قرية (وأهلها غافلون) عن سبب التعذيب لئلا ينسبوا اليه الظلم عند ذلك (و) للاحتراز عن الظلم يكون (لكل) من عامل خير او شر (درجات) من الثواب والعقاب مأخوذة (مما عملوا) لئلا يظلم بنقص الثواب أو زيادة العقاب لاعدا (و) لاسهوا لانه (ما ربك بغافل عما يعملون) ما مقداره ومقدار ما يترتب عليه (وربك) وان كان يعطى الدرجات بحسب الاعمال (الغنى) عن التعذيب فيجوز ان ينقص منه أو يعفو عنه (ذو الرحمة) فيجوز ان يزيد فى الثواب ولا ينافى عفوه اقتضاء جلاله التعذيب لانه (ان يشأ يذهبكم) فى الآخرة أيضا (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) ليعصوا فيعذبهم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ذهب بهم ثم بذريتهم لكنه لم يفعل لئلا يخالف وعده (انما توعدون) من العذاب (لآت) مع غنى ربك ورحمته (وما أنتم بمعجزين) له بهذه الكلمات لانه يعمل بمقتضى اسمائه كلها فيخص البعض بالتعذيب والبعض بالعفو (قل) للمعتمدين على غناه ورحمته حتى تركوا العبادة وعبدوا الاصنام (ياقوم اعملوا) الاعمال الخسيسة من عبادة من هو دونه (على مكانتكم) أى مرتبتكم الشريفة على خلاف مقتضاها (انى عامل) عبادة الله مع غناه لاحتياجى اليها فى استكمال مرتبتى من القرب اليه فى الدار التى تعقب هذه الدار بنيت لعبدة الله دون غيرهم وأنتم ان لم تعلموها الآن (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) هل يكون للعدل الذى يضع العبادة فى موضعها أو للظالم بوضعها فى غير موضعها (انه لا يفلح الظالمون و) من ظلمهم المانع من الفلاح ترجيحهم جانب الاصنام على جانب الله بعد تشريكهم اياه فيما اختص بخلقه اذ (جعلوا لله مما ذرأ) أى خلق (من الحرث والانعام نصيبا) يصرفونه الى المساكين والضيفان ولاصنامهم نصيبا يصرفونه الى التمسك والسدنة (فقالوا هذا) مستقر (لله بزعمهم) الآن من غير استقرار له فى المستقبل لعارض (وهذا لشركائنا) وهو مستقر لهم بل يستقر لهم ما ليس لهم أيضا (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) عند نمائه أو سقوطه فيما هو لله أو هلاك ما هو لله (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) عند نمائه أو سقوطه فيما هو للاصنام أو هلاك ما لها وعللوا ذلك بان الله غنى وهى محتاجة (ساء ما يحكمون) من ترجيح جانب الاصنام على جانب الله بعلة

محدود وقد يجىء محدودا (قوله عز وجل حطة) مصدر حط عنا ذنوبنا حطة والرفع على تقدير ارادتنا حطة ومسئلتنا حطة ويقال الرفع على انهم أمروا بذلك بعينه وقال المفسرون تفسير حطة لا اله الا الله (قوله عز وجل) حل أى حلال وحرم حرام وقد قرئت وحرم على قرية وحرام على قرية والمعنى

تقتضى ترجيح جانب الله لالهيته وعدم صلاحيتهم للالهية مع الحاجة (و) لكن زين لهم ذلك
القبيح (كذلك زين لكثير من المشركين) مع وفور عقلهم فى الامور الدنيوية ماهو أشد قبحا
منه فى باب القربان (قتل أولادهم) للاصنام (شركاؤهم) من الشياطين مكرا بهم (ليردوهم)
أى يهلكوهم بالشرك وقتل الولد (وليلبسوا عليهم دينهم) بدين ابراهيم فى ذبح اسمعيل
عليهما السلام (و) لا ينبغى ان تحزن على هلاكهم لانه بمشيئة الله (لوشاء الله) عدم اهلاكهم
(مافعلوه) مع ظهور قبحه وكونه افتراء على الله فى جعله من دين ابراهيم (فذرهم ومايفترون)
بعد بيان ذلك لهم (و) مما ظهر فيه افتراؤهم ما ناقضوا فيه اذ (قالوا هذه انعام وحرث حجر) أى
وقف والوقف مما يترك أصله ويؤخذ نفعه وهم يقولون (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم)
فيجيزون اكل الموقوف ويدخلونه تحت تصرفهم بعد اخراجهم اياه عنه بالوقف (و) قالوا ماهو
اقبح منه اذ لامعنى له والتناقض انما يقبح بالنظر الى اجتماع النقيضين لا بالنظر الى ذات كل
واحد منهما وهو هذه (انعام) اى البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى محررة (حرمت
ظهورها) أى ركوبها مع ان التحرير هو رفع الحجر عن التصرف وذلك مختص بالانسان فلا
وجه لاخراج غيره عن الملك (و) قالوا ماهو أشد من ذلك وهو هذه (انعام) تتقرب بها الى
الاصنام ليقربونا الى الله ومع ارادة هذا التقرب اليه (لايذكرون اسم الله عليها) عند
ذبحها لئلا يشاركها الله فيها و يزعمون انه أمرهم بذلك (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا
يفترون) على الله باسوا الوجوه ثم أشار الى افتراء آخر فيه صريح التحكم فقال (وقالوا
مافى بطون هذه الانعام) الثلاثة من الاجنة ان خرجت حية فهى (خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا) أى اناثنا وان اعطاهن ذكورنا (وان يكن) مافى بطونها (ميتة فهم) أى
الذكور والازواج (فيه) أى فى حلها (شركاء سيجزيهم وصفهم) بالتحليل والتحريم على
سبيل التحكم ونسبته الى الله تعالى (انه حكيم) لايتحكم (عليم) بمافى التحليل والتحريم
استقلالا من دعوى الالهية وافتراء على الله من الظلم العظيم وكيف لاتكون هذه الافتراآت
تزيينا من الشركاء بطريق المكر مع ظهور قبحها اذ (قد خسر) الدارين (الذين قتلوا
أولادهم) أما الدنيا فلانهم قتلوهم (سفها) اذ أتلفوهم بلا نفع حاضر وأما الآخرة فلانهم
قتلوهم (بغير علم) بنفع اخروى بل مع ظهور ضرر الافتراء على الله (و) كذا الذين (حرموا
مارزقهم الله) أما الدنيا فلانهم ضيعوا على انفسهم المنافع التى خلقه الله لاجلها وأما
الآخرة فلعدم علمهم بنفع فيها بل مع ظهور ضرر الافتراء اذ كان التحريم (افتراء على الله)
فهم وان كانوا عقلاء مهتدين فى امور الدنيا (قد ضلوا) فى هذين الامرين اذ لم يراعوا فيهما
الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) فيما اهتدوا من امور الدنيا أيضا لانها لم تقصد لذاتها
بل لتكون مزرعة الآخرة وقد ضيعوا على انفسهم كونها مزرعة وان عملوا ماهو مزرعة
أحرقوها بكفرهم فلم يكن هداهم هدى أصلا ثم أشار الى انهم كيف يهتدون مع افترائهم على
المنعم بانواع النعم بالتحريم الذى يبطل انعامه وحكمته فيه وهو اعتبار الامور الاخروية بها

واحد (قوله عز وجل وأنت حل بهذا البلد) أى حلال ويقال حل حال ساكن أى لا اقسم به بعد خروجك منه (قوله تعالى حكمة) اسم للعقل وانما سمى حكمة لانه يمنع صاحبه من الجهل ومنه حكمة الدابة لانها ترد من غربها وافسادها (قوله عز وجل حولا) تحويلا (قوله عز وجل حجرا) على ستة أوجه حجر حرام قال

فقال

فقال (وهو الذى) انعم عليكم بانواع النعم لتعتبروا بها انعم الآخرة فتجتهدوا لها اذ (انشأ) من الكروم وغيرها (جنات) تدل على الجنات الاخروية (معروشات) أى مسموكات بما عملتم لها من الاعمدة وغيرها ليعلم ان فيها درجات رفيعة للعاملين لها (وغير معروشات) حصلت بغير تعب ليعلم ان فيها درجات تحصل بفضل الله بلا تعب لكنها لا تخلو عن دنو (والنخل) المثمر لما هو فاكهة وقوت ليعلم انه لا بد من أصل هو الايمان المثمر لما فاكهة القرب ونجاة القوت (والزرع) المحصل لانواع القوت ليعلم ان النجاة انما تحصل بالاعمال (مختلفا اكله) أى كل واحد من النخل بالحلو بسرا وتمرا ورطبا ومن الزرع بحسب طبائعه ليعلم ان تفاوت مراتب القرب والنجاة بحسب كمال الاعتقادات والاعمال ونقصها (والزيتون والرمان متشابها) فى اللون والشكل (وغير متشابه) فى الطعم ليعلم تفاوت درجات المؤمنين العاملين بحسب تفاوت اذواقهم فى الدنيا والذوق الظاهر لما كان سبب الذوق الباطن لم يتم الاعتبار الا بأكل تلك الثمار لذلك قال (كلوا من ثمره اذا أثمر) وان لم يبلغ حد الحصاد ولم يعط منه حقه (و) لا تبطلوا معنى المزرعة فيها بجعلها لمحض الشهوات بل (آتوا حقه) وهو العشر أو نصفه (يوم حصاده) لانه نماء فلا ينتظر له حول يحصل نماء (ولا تسرفوا) فى اكلها لئلا يبطل باستيفاء الشهوات معنى المزرعة كيف والمقصود منها اكتساب محبة الله تعالى لكنها لا تحصل مع الاسراف (انه لا يحب المسرفين) وكيف يحب المسرفين فى الشهوات وهم لا يحملون التكاليف التى يتوسل بها الى بساط القرب (و) قد انشأ (من الانعام حمولة) تحمل اثقالكم لتعلموا ان حيوانيتكم لحمل اثقال التكاليف (وفرشا) أى بساطا لتعلموا ان حيوانيتكم صالحة لجعل بساط الاعمال الصالحة الموصلة الى بساط القرب عند الله اذا شكرتم هذه النعمة بعد استكمال منافعها بالاكل الذى يدل على اباحته اتفاقكم على هاتين الفائدتين المؤديتين لها مدة حياتها وايذاء الذبح لا يعتد مع ان فائدتها أجل وهى حفظ الروح واستزادة القوة فى الطاعة والجهاد (كلوا مما رزقكم الله) لحفظ الروح واستزادة القوة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) من تجويز أعظم وجوه الايذاء لادنى المنافع ومنع أدناها الاعظم المنافع (انه لكم عدو مبين) يمنعكم عما يحفظ روحكم ويزيد قوتكم ويدعوكم الى الافتراء على الله ان تنسبوه الى أمره أو الى دعوى الالهية لكم ان استقللتم به وقد ظهرت عداوته فى تخبيطهم فى القول بتحريمها واتفقوا على اباحة زوجى الضأن والمعز واختلفوا فى تحريم زوجى الابل والبقر فبعضهم حرم الذكور على الاناث وبعضهم على الذكور وبعضهم الاناث على الذكور وبعضهم على الاناث وبعضهم ما فى البطون على الاناث ان خرج حيا ولا دليل لواحد منهم بل لا شبهة فرد الله تعالى عليهم وأمرهم ان يأكلوا (ثمانية ازواج) أى اصناف كل صنف زوج ما يحاذيه من نوعه واعتبار الزوجية يدل على ان ذبح أحد الزوجين بمنزلة ذبح الآخر ونص على تحليل المتفق عليه بقوله (من الضأن اثنين) الذكر والانثى (ومن المعز اثنين) ليعلم ان المختلف فيه كذلك بل اذ الاكل المتفق عليه مع قلة المشقة عليه لعدم

الله عز وجل وحرث حجر وقال تعالى ويقولون حجرا محجورا أى حراما محرما عليكم الجنة والحجر ديار ثمود كقوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين والحجر العقل كقوله عز وجل هل فى ذلك قسم لذى حجر والحجر حجر الكعبة والحجر الفرس الانثى وحجر القميص وحجره لغتان والفتح أفصح

(باب الحاء المفتوحة)

obeikandi.com

كونه حولة فالحولة أولى وفى تقديم الضأن على المعز اشارة الى أولوية اكله لعدم الانتفاع
بوبره ليدل على أولوية أكل البقر (قل) لوحرمهما (ءالذكرين حرم) على الذكور
والاناث (أم الانثيين) مع ان تحريم أحد الصنفين على أحد الصنفين يستلزم تحريم
الآخر على الآخر (أما اشتملت عليه ارحام الانثيين) من المعز والضان مع انه لا يصلح
علة للتحريم وفاقا فهو هنا فكذا فى الابل والبقر (نبئونى بعلم) أى دليل نقلى من كتب أو اثر
الرسل أو عقلى فى الفرق بين هذين النوعين والنوعين الآتيين (ان كنتم صادقين) فى ذلك
ثم صرح بالمختلف فيه فقال (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) فان قالوا بتحريم
البعض (قل ءالذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اعلمتم ذلك
بدليل (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله) أى أمركم أمرا مؤكدا (بهذا) التحكم
الذى لا يليق بالحكيم واذ لم يكن عندكم دليل ولا مشاهدة كنتم مفترين على الله وزدتم
عليه باضلال عباده بغير شبهة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم)
وأقل ما فيها الضلال (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) فكيف من زاد على الاظلم بوجهين كل
واحد يوجب الاظلمية استقلالا فان زعموا أنك حرمت علينا أشياء خلقها الله تعالى رزقا لنا
(قل) ان التحريم ليس منى بل بالوحى الى مع أنه لا تحكم فيه اذ (لا أجد) الآن (فيما
أوحى الى محرما) مما تحلونه (على طاعم) من ذكر أو أنثى لا على مستقل اذ (يطعمه)
استقلالا الا بمشيئتنا (الا أن يكون ميتة) والموت سبب الفساد فهو منجس الا ان يمنع من
تأثيره مانع من ذكر اسم الله أو كونه من الماء أو غيرهما (أو دما مسفوحا) أى سائلا لا كبدا
أو طحالا لانه أول ما يتعلق به الروح فتنجسه بالموت يشبه النجاسة الذاتية التى لا تقبل التطهير
(أو لحم خنزير فانه رجس) فى حياته لكونه مقتصرا على أكل النجاسات (أو فسقا) أى
خروجا عن الدين الذى هو كالحياة المطهرة (أهل) أى صوت فيه باسم (لغير الله به) أى
بسبب ذبحه له فانه وان قرن به اسم الله لا يؤثر معه فى التطهير وهذا لا ينافى كونه رزقا لانه
رزق للمضطر (فمن اضطر غير باغ) بقتال الامام (ولا عاد) بسفر المعصية فأكل (فان
ربك غفور) لاثمه (رحيم) باباحته مع قيام دليل التحريم فان اعترض على الحصر المذكور
بأن الله تعالى حرم فى التوراة أشياء غيرها أجيب بأنه مخصوص باليهود كما قال (وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى اصبع من دابة أو طير (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما) من الشرائح (أو الحوايا) أى الامعاء والمصارين
(أو ما اختلط بعظم) من المخ (ذلك) أى تحريم تلك الاطايب عليهم (جزيناهم ببغيهم)
ولم يكن لغيرهم ذلك البغى فلا وجه لتحريمها عليهم مع كونها أطايب فى أنفسها (وانا
لصادقون) فى تخصيص التحريم بهم لبغيهم (فان كذبوك) فى التخصيص وزعموا أن
تحريم الله لا ينسخ (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فيجوز أن يرحم هذه الامة بتحليل ما حرم
على من قبلهم (و) لا ينافى سعة رحمته تحريمها على أهل البغى كما لا ينافى رحمته بأسه اذ

(لا

(قوله عزوجل ختم الله على قلوبهم) طبع الله على قلوبهم (قوله عزوجل خالدون) باقون بقاء لا آخر له وبه سميت الجنة دار الخلد وكذلك النار (قوله خاشعين) أى متواضعين (قوله عزوجل وخشعت الاصوات للرحمن) اى خفضت (وقوله عزوجل وترى الارض خاشعة) أى ساكنة مطمئنة (قوله عزوجل

(لايردّبأسه) يوم القيامة مع تضاعف رحمة فيه (عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا)
فى رد البأس عنهم مايبطل شركهم من وحدة الفاعل (لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا
من شئ) اذلو كان بمشيئة الغير فهو الغالب لكثرة المذكورين ولو كان بمشيئته فلا
تعذيب عليه فقال تعالى هذا منقوض لانهم كما كذبوا بالعذاب بهذه الشبهة (كذلك
كذب الذين من قبلهم) بالعذاب فأصروا عليه (حتى ذاقوا بأسنا) فلوصح هذا الدليل
لم يكونوا ليذوقوه فان لم يكتفوا بالنقض وطلبوا الحل (قل) المشيئة انما تمنع من العذاب
لو كانت قاهرة لكنها تابعة لاختيارنا (هل عندكم من علم) بأن مشيئته قاهرة (فتخرجوه
لنا) لنخرج عن القول بأنها ليست تابعة لاختيارنا فان زعمتم أن اختيارنا بمشيئته ولابد أن
تكون قاهرة قلنا (ان تتبعون) فى جعل هذه المشيئة قاهرة (الا الظن) بل هى تابعة
لاستعدادات حقائقنا (و) ان زعمتم أنها أيضا بجعله لها قلنا (ان أنتم الا تخرصون) بأن
الاستعدادات مجعولة مع أنها صفات الامور العدمية وان زعمتم أن مشيئة الله أينما كانت
فهى قاهرة وان الاستعدادات لو اعتبرت فهى أمور وجودية (قل فلله الحجة البالغة) وهى
أن العذاب والثواب مقدران ابتداء كأعمالهما ولاعلة لتقدير الله لكن أعمالهما
علامات كالمرض للموت (فلوشاء) أن لايعذب أحدا (لهداكم أجمعين) اذلاحكمة فى
خلق الضلال سوى اظهار الجلال بالتعذيب (قل) لليهود المكذبين للتخصيص (هلم) أى
أحضروا (شهداءكم) أى علماء التوراة (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) على جميع الامم
من غير تخصيص ولاسبب بغى (فان شهدوا) أنه فى التوراة (فلاتشهد معهم) لما علمت من
افترائهم على الله وتحريفهم لكتبه على وفق اهويتهم (ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا)
الظاهرة على يدى عيسى ويديك (و) أهواء (الذين لايؤمنون بالآخرة) اذ يقولون ان تمسنا
النار الا أياما معدودة (و) لايؤمنون بالله أيضا اذ (هم بربهم يعدلون) عزيرا اذ يجعلونه
ابنه والابن يعدل الاب (قل) للذين يشهدون أن الله حرم المذكورات على الكل (تعالوا)
أى ائتوا المقام العالى من الانصاف (أتل ماحرم) على الكل بحيث لايقبل النسخ (ربكم
عليكم) فى مفتتح التوراة الشرك اذنهاكم عنه فعزم (ألاتشركوا به شيأ و) عقوق
الوالدين اذ أمركم أن تحسنوا (بالوالدين احسانا) كاملا لكونهما المبدأ القريب الذى
لايشارك فيهما فالاحسان اليهما كالاحسان الى أنفسكم بترك الشرك فى المبدا الاعلى
(و) قتل الاولاد اذ عزم أن (لاتقتلوا أولادكم) الذين يتوقع الاحسان منهم اليكم اذا كبروا
ولو (من) وجود (املاق) أى فقر فان قتلهم من أجله ليس بعذر اذ (نحن نرزقكم) مع
فقركم (واياهم و) الزنا لانه فاحشة اذقد عزم اليكم أن (لاتقربوا الفواحش) أى القبائح
سواء كان لها صورة ظاهرة أم لا كما قال (ماظهر منها ومابطن) فانه فى معنى قتل الولد لتفويت
النسب اليه وان نسب الى الزوج فى الظاهر فى صورة الزنا الباطن وهو قتل بغير حق اذلاجرم
للصبى (و) قد حرم اذ عزم أن (لاتقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها الا بايمانها وأمانها

خاسئين) باعدين ومبعدين
أيضا وهو ابعاد بمكروه
يقول أخسأت الكلب
وخسأ الكلب (قوله عز
وجل خلاق) نصيب
(قوله عز وجل الخيط
الابيض) هو بياض النهار
والخيط الاسود هو سواد
الليل (قوله خاوية) أى
خالية (قوله عز وجل
خبالا) فسادا (قوله عز
وجل خائبين) أى فاتهم
الظفر (قوله خليل) أى
صديق وهو فعيل من
الخلة وهى الصداقة

(الا بالحق) كالقصاص والرجم وأفرده اشعارا باستقلاله بالحرمة فكيف اذا انضم اليه قطع الرحم وعدم الثقة بضمان الله (ذلكم وصاكم به) تلطفا ورأفة (لعلكم تعقلون) فالشرك وعقوق الوالدين وقتل الاولاد لفقر منشؤه الجهل بما في الشرك من استهانة المنعم بالايجاد وبما في الاساءة الى الابوين من مقابلة الاحسان بالاساءة وقربان الفواحش من متابعة الهوى والقتل من متابعة الغضب وكلها أضداد العقل (و) حرم أكل مال اليتيم لانه بمنزلة قتله لعجزه عن تحصيل معاشه فعزم أن (لا تقربوا مال اليتيم) اذ هو جاه ومقدمته (الا بالتي هي أحسن) أي بطريق الحفظ والانماء فأحسنوا اليه بذلك (حتى يبلغ أشده) أي قوته التي يقدر بها على حفظه واستنمائه كيف (و) قد حرم في حق الجميع التطفيف اذ عزم ان (أوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي العدل لا على سبيل التحقيق الذي يصعب رعايته اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها و) كما حرم عليكم ترك العدل فيه حرم تركه في القول اذ عزم أنه (اذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول فيه (ذا قربى و) اذا وجبت رعاية حق خصم ذي القربى فرعاية حق الله أولى ولذلك حرم نقض عهد الله وعزم أن (بعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بأنكم كنتم أيتاما فلو لم يؤمر الحكام بحفظ أموالكم واستنمائها لهلكتم ولو لم يوف لكم الكيل والميزان لخسرتم ولو لم يقل الحق فيكم لظلمتم ولو نقض عهدكم لغضبتم فما ترضون في حق أنفسكم فافعلوا في حق الغير وأكمل عهوده الايفاء بقواعد هذا الدين وقد حرم على أهل كل عصر مخالفة قواعد دين ذلك العصر اذا تحقق كونه دينا بالاستقامة وأشار الى ذلك بقوله (وأن) أي ولأن (هذا) الدين المحمدي (صراطي) المنسوب الى لكونه (مستقيما فاتبعوه) اذ لم تختلف الاديان في وجوب متابعة المستقيم من دين كل عصر (ولا تتبعوا السبل) وان كان فيها ما هو مستقيم في عصره لكنه قد زالت استقامته (فتفرق بكم) عن الله لابعادها (عن سبيله) في الحال (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الكفر والضلال بمتابعة السبل المنسوخة جعلنا هذه الوصايا مفتتح التوراة (ثم آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (تماما) بسائر الاحكام (على) النهج (الذي أحسن) رعاية مصالح زمانه (وتفصيلا لكل شيء) من الحقائق الالهية والملكوتية والامور الاخروية (وهدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) بافاضة الفوائد الكشفية (لعلهم) أي أهل الكتاب (بلقاء ربهم يؤمنون) اذ يعلمون من الدلائل العقلية استحسان ذلك ومن رفع شبه الاستقباح رفع الموانع ومن الدلائل النقلية وجوب ذلك ويتأكد بالقواعد الكشفية ان ذلك مقتضى جلاله وجماله ثم أشار الى أن التوراة وان كانت تماما على النهج الاحسن فالقرآن أتم منه وأزيد حسنا فهو أولى بالمتابعة فقال (وهذا) أي القرآن (كتاب) عظيم الشأن (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) أكثر خيرا من التوراة (فاتبعوه واتقوا) متابعة غيره لكونه منسوخا به (لعلكم ترحمون) فيه اشارة الى أنه لا رحمة بمتابعة المنسوخ وان آمن صاحبها بلقاء ربه على أنه لو لم يكن أتم من التوراة لاقتضت الحكمة انزاله كراهة (أن

تقولوا)

والمودة (قوله عز وجل خصيم) أي شديد الخصومة (قوله عز وجل خائنة منهم) بمعنى خائن منهم والهاء للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة ويقال خائنة مصدر بمعنى خيانة (قوله عز وجل خسروا أنفسهم) غبنوها (قوله عز وجل خولناكم) ملكناكم (قوله عز وجل خلفتموني من بعدي) أي أقمتم مقامي خالفين متخلفين عن القوم الشاخصين وقوله تعالى رضوا بأن

تقولوا) يوم القيامة (انما أنزل الكتاب) الجامع للاحكام والدلائل والحقائق ورفع الشبه والفوائد الكشفية (على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا) وقد غيروا فيه بطول المدة (وان) أى وان الشأن (كنا عن دراستهم لغافلين) لبعدهم عنا وكونه بغير لغتنا وقد صعب على أهل لغتنا الفصيحة الانتقال الى لغتهم الثقيلة فهذا وان لم يكن عذرا أنزلناه بجعله بلسانكم مبالغة فى الزام الحجة عليكم وعلى سائر الامم اذ يسهل عليهم الانتقال الى لغتكم الفصيحة (أو) كراهة أن (تقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا) لمزيد ذكاوتنا وجدنا فى العمل (أهدى منهم) وان لم يكن كتابنا أهدى من كتابهم فأزيل هذا العذر بانزال كتاب أهدى من كتابهم (فقد جاءكم) كتاب معجز فهو (بينة) على نفسه بانه (من ربكم و) لا يتوهم فيه السحر لانه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) بافاضة الفوائد الكشفية واذا كان معجزا مفيدا للهدى والرحمة فالكفر به أعظم ظلما من الكفر بما هو مجرد هدى ورحمة (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله و) ان لم يكن تكذيبه عن معرفة اعجازه لانه (صدف) أى أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا) التى لو لم يصدفوا عنها لعرفوا اعجازها (سوء العذاب) الذى يكون للمكذبين بعد معرفة الاعجاز (بما كانوا يصدفون) اذ قصدوا بذلك أن لا يعرفوا اعجازه ليلزمهم الايمان به فكانوا فى حكم من عرف الاعجاز ثم كذب به واذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب المعجز الذى لا احتمال للسحر فيه مع اشتماله على الادلة ورفع الشبه وافاضته للفوائد الكشفية أتم مما فى سائر الكتب (هل ينتظرون) أى ينتظرون للايمان (الا أن تأتيهم الملائكة) بالوحى أو بالشهادة على صدق الكتاب (أو يأتى ربك) أى ظهوره للابصار مصدقا لكتابه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى دلائل القيامة الدالة على الله وصفاته وأفعاله فى الآخرة ولما سبق ما فى انزال الملائكة من قضاء الامر وعدم الانظار وظهور الرب أشد لم يتعرض للكلام فيه وانما تعرض لظهور بعض الآيات فقال (يوم يأتى بعض آيات ربك) فضلا عن كلها (لا ينفع نفسا ايمانها) وخيرها الذى أوقفها عليه اذ (لم تكن آمنت من قبل) وقت التكليف قبل كشف الحجب (أو) لم تكن (كسبت فى) حال (ايمانها خيرا) وان كسبت فى حال الكفر فان زعموا انا ننتظر ذلك وان كان فيها ما قلت (قل انتظروا) استهزاء (انا منتظرون) تحقيقا ثم أشار الى أنهم لا يتركون الانتظار ما يجتمعوا على كتابك لكنهم كيف يجتمعون على كتابك مع تفرقهم فى دينهم فقال (ان الذين فرقوا دينهم) مع وحدته فى نفسه (وكانوا شيعا) مختلفة كأرباب الاديان المختلفة يكفر بعضهم بعضا (لست منهم) أى من امكان جمعهم على كتابك (فى شئ) وان بالغت فى اقامة الدلائل ورفع الشبه (انما أمرهم) فى الجمع المفوض (الى الله) لكنه يتركهم فى التفرقة التى استعدوا لها باختلاف أهوائهم التى اتبعوها منتظرين عواقبها على سبيل الاستهزاء (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) من التفرقة لمتابعة الاهواء والانتظار على سبيل الاستهزاء ويجازيهم على ذلك بما يماثل أفعالهم ويفوقهم تضاعف الحسنات فيخص على الامرين اذ (من جاء بالحسنة

يكونوا مع الخلوف أى مع النساء ويقال وجدت القوم خلوفا أى قد خرج الرجال وبقى النساء (قال أبو عمر عن ثعلب عن ابن الاعرابى قال الخلوف اذا كان الرجال والنساء مقيمين والخلوف اذا خرج الرجال وبقيت النساء وأنشد

والحى حى خلوف

(قوله عز وجل خرقوا له بنين وبنات) افتعلوا ذلك واختلقوه كذبا ومعنى

فله عشر أمثالها) فى الحسن كمن هو أهدى الى سلطان عنقود عنب يعطيه بما يليق بسلطنته لاقيمة العنقود (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها) فى القبح فمن كفر خلد فى النار فانه ليس أقبح من كفره كمن أساء الى سلطان بقصد قتله ومن فعل معصية عذب بقدرها كمن أساء الى آحاد الرعية (وهم) وان رأوا اقبح العذاب أشد من قبح أفعالهم (لايظلمون) بالزيادة على قدر الاستحقاق فان زعموا أن الحسنة دين أهل الكتاب لاعترافك بأن كتابهم منزل والسيئة دينك لانكارهم على ان دين الله لايتعدد لان الحق واحد (قل) لاينظر فيه الى انكار أحد أو اقراره بل الى الاستقامة والاعوجاج (اننى هدانى ربى) كما هداهم (الى صراط مستقيم) كصراطهم بل أكمل منه لكونه (دينا قيما) أى قائما بكل اعتقاد صحيح وأحكام أتم فائدة وأكثر ثمرة من أحكامهم والحق انما لايتعدد فى الاعتقادات دون الاحكام التابعة لمصالح الازمنة والامم فهو وان خالف دينهم فى بعض الفروع واعتقادهم فى عزير والمسيح فقد وافق (ملة ابراهيم) المتفق على صحتها لكونه (حنيفا) أى مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) باعتقاد ابنية عزير والمسيح فان زعموا انك تصلى الى الكعبة وتطوف بها وتذبح لها الهدايا فعل المشركين باصنامهم على أنك لاتخلو عن شرك اذ ترغب الى اصلاح معاشك ومعادك (قل ان صلاتى) الى الكعبة (ونسكى) أى طوافى وذبحى للهدايا لله لا للكعبة اذ لا أدعو غيره وعابد الصنم يدعوه وتخصيص الكعبة لانه لما تنزه عن المكان ولم يكن للظاهر بد من التوجه الى مكان جعل أول بيت وضع لعبادته بمنزلة مكانه فجعل كدار السلطان يتوجه اليها المحتاجون ويطوفون حولها فيأتون بالهدايا اليها (ومحياى ومماتى) أى ما أفعله للحياة فلا أفعله لذاتها بل للاستعانة على عبادته وما أفعله للممات فلا أفعله لطلب الجنة أو للهرب من النار بل لرضا الله والتقرب اليه فجميع ما توهمتم فيه الشرك كان (لله) ولاينافى ذلك حصول أسبابها لكونها من (رب العالمين) ولكن (لاشريك له) فى الطلب فلا أطلب معه سواه (و) ليس ذلك من رأيى حتى أكون عابده بل (بذلك أمرت) وكيف أكون مشركا (وأنا أول المسلمين) الذى يقتدى به الموحدون فان زعموا أنك تعبد الكعبة بالصلاة والطواف والذبح ولكن تستتر بهذه العبادات (قل أغير الله أبغى ربا) حتى أصير فى غاية الدناءة لان العبودية دناءة (و) هى للعباد غاية الدناءة اذ (هو رب كل شئ) فيلزم أن أكون عبد العبده (و) لاتحمل الكعبة منى هذه الدناءة اذ (لاتكسب كل نفس الاعليها) وان تحمل شئ دناءة الآخر فلا يتحمل وزره وعبادة الغير وزر (ولاتزر) أى لاتحمل نفس (وازرة) اى ثقيلة بالاثم كالرضا بكونها معبودة من دون الله (وزر) أى اثم نفس (أخرى ثم) انه ليس بمجرد حمل بل (الى ربكم مرجعكم) فلو عبدتم هذه المظاهر على زعم ظهور الالهية فيها مع اختلافها كنتم قائلين بالاختلاف فى ذاته (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون و) ان اعتبرتم كمال المظهرية فهو لكم اذ (هو الذى جعلكم خلائف الارض) تتصرفون فى الارض التى هى المحل الكامل للتصرف بوجوه مختلفة

وحزقوا له ذهلوا امرة بعد أخرى وحزقوا افتعلوا مالا أصل له وهى قراءة ابن عباس (قوله عز وجل خلائف الارض) أى سكان الارض يخلف بعضهم بعضا واحدهم خليفة (قوله خاطئين) قال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقال غيره خطئ فى الدين وأخطأ فى كل شئ اذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير عامد (قوله جل اسمه

obeykandl.com

نيابة عن ذاته وجميع صفاته وأسمائه (و) مع ذلك ليس هو كال المظهرية على الاطلاق اذ (رفع بعضكم فوق بعض درجات) يرتفع بعضهم على بعض بدرجة والمرفوع عليه يرتفع على المرتفع بأخرى فان فرض جامع للدرجات فلا يكون أيضا الها الان رفع درجاته ليس بذاتى بل عارض (ليبلوكم فيما آتاكم) هل تشكرونه فيه أم لا فان لم تشكروه سلبت منكم درجاتكم بالمعاقبة (ان ربك سريع العقاب) فلا يبقى درجاتكم مدة يتوهم فيها كونها ذاتية لكم (و) ان شكرتم سترت نقائصكم ورفعت درجاتكم (انه لغفور رحيم) فليست درجاتكم ذاتية حتى تدل على الالهية لحدوثها بعد العدم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاعراف)

سميت بها لانها من المنازل الرفيعة لاهل الكمال المفضين على سائر الطوائف فشأنها أولى بالاعتبار من سائر الشؤن المذكورة فى هذه السورة (بسم الله) الجامع للكمالات التى تجلى بها فى هذا الكتاب لتوسيع صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (الرحمن) بانذار الكل المنجى عن المكاره وتذكيرهم الموصل الى المحبوبات (الرحيم) بتخصيص فائدتهما بالمؤمنين (المص) أى أحسن لآلئ المكارم الصافية أو أعلى لطف معد للصعود أو أكمل لامع مفيد للصيانة أو أعزاب معجز صادق (كتاب أنزل اليك) لتحليتهم بتلك اللآلئ أو للتلطف عليهم بما يعدهم للصعود أو لانارتهم بما يكشف لهم عن المنافع والمضار الحقيقية أو لاعزازهم بلباب الصدق بما يرون من الاعجاز (فلا يكن فى صدرك حرج منه) من حزن من لا يتحلى أو لا يتلطف أو لا يستنير أو لا يتعزز اذ لم ينزل لالزامهم ذلك بل (لتنذر به) من لا يتصف بما ذكر (و) تذكر به فوائد هذه الامور (ذكرى) نافعة (للمؤمنين) المصدقين بهذه الاوصاف وفوائدها وأى حرج لك فيه وليس عليك الا أن تقول لهم (اتبعوا) للوصول الى هذه الامور العالية (ما أنزل) لتحصيلها (اليكم) أيها القاصرون بأنفسكم (من ربكم) الاعلى الذى رباكم بتنزيل هذه الامور العالية (و) لا تبطلوا هذه التربية بمتابعة من دونه (لا تتبعوا من دونه) فان أقل ما فيها ترك الاعلى للادنى (أولياء) مع انهم أعداء لو تذكرتم بتنزيلهم اياكم من الاعلى الى الاسفل لكن (قليلا) من التذكر (ما تذكرون) كيف (و) ليس اقتصارا على التنزل بل اهلاك كل بمجرى السنة المستمرة اذ (كم) أى كثيرا (من قرية أهلكناها) باتباعهم أولياء من دونه مع ترك متابعة ما أنزل الله ولم يكن من قبيل الابتلاء الذى تظهر علامته قبله غالبا بل كان فجأة (فجاءها بأسنا) أى عذابنا (بياتا) أى بائتين يعنى نائمين ليلا (أو هم قائلون) أى نائمون نهارا جزاء على غفلتهم مع خفاء البرهان تارة وظهوره أخرى ويدل على أنه ليس للابتلاء الذى يعم المؤمن والكافر انهم أرادوا دفعه بحجة لكن لم يجدوها (فما كان دعواهم) أى حجتهم التى يدعون التمسك بها لدفعه (اذ

خطبكن) أى أمركن والخطب الامر العظيم (قوله تعالى خلصوا نجيا) أى تفردوا من الناس يتناجون أى يسر بعضهم الى بعض (قوله عز وجل خروا له سجدا) أى كذلك كانت تحيتهم فى ذلك الوقت وانما سجدوا هو لله عز وجل (قوله عز وجل خبت زدناهم سعيرا) يقال خبت النار تخبو اذ سكنت (خاوية على عروشها) خالية قد سقطت